

المسائل العقدية المتعلقة بأسلوب النداء الوارد في الإيمان

Doctrinal issues related to the method of the appeal to faith

إعداد

لطيفة بنت عبد العزيز بن إبراهيم النويبت

Latifa Abdulaziz Ibrahim al-nuwaibit

قسم الدراسات الإسلامية -كلية التربية- جامعة الملك سعود

مسار العقيدة والمذاهب الفكرية المعاصرة

Doi: 10.21608/jasis.2023.294981

استلام البحث ٢٨ / ١ / ٢٠٢٣

قبول البحث ٢٢ / ٢ / ٢٠٢٣

النويبت ، لطيفة بنت عبد العزيز بن إبراهيم (٢٠٢٣). المسائل العقدية المتعلقة بأسلوب النداء الوارد في الإيمان. ***المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٧(٢٣)، أبريل ٢٨٧- ٣٢٤.

http://jasis.journals.ekb.eg

المسائل العقدية المتعلقة بأسلوب النداء الوارد في الإيمان

المستخلص:
يتناول هذا البحث عددًا من الأحاديث النبوية التي جاء تقرير بعض مسائل الايمان فيها بأسلوب النداء، لما للإيمان من أهمية بالغة بكونه أصل مسائل الأسماء والأحكام، ومن أبرز مسائل العقيدة ومباحثها، لذا جاء هذا البحث مبيِّنًا أثر أسلوب النداء في بيان الإيمان ومتعلَّقاته، مُجلِّيًا ما تضمَّنه هذا التركيب من دلائل ومسائل عقدية دلَّ عليها أحد أساليب الخطاب النبوي.

الكلمات المفتاحية: الخطاب- السنة النبوية- النداء- العقيدة- الأسماء والأحكام

Abstract:
Due to Faith superior importance as the origin of labels and rules, this research deals with a number of Prophetic Hadiths, in which some considerations of Faith that are based on vocations were reported as an essential consideration of Islamic Creed and its issues. Accordingly, this research reveals the impact of vocations in affirming Faith and its pillars, showing how this composition is an evidence of Islamic Creed approved by one of the Prophetic Discourses.

Keywords: Discourse- Prophetic Tradition- Vocation- Islamic Creed- Label and Rules

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:
يعدُّ أسلوب النداء من أهم أساليب الخطاب في اللغة العربية لكثرة استعماله، وتكرُّر وروده لاستدعاء اهتمام المخاطبين لما يُؤمرون به أو يُنهون عنه، لذا كان للنداء نصيبًا وافرًا من كلام خير البشر ﷺ، وهو أحد الأساليب التي اعتمدها النبي ﷺ في توجيه عناية الناس لما يتضمنه الخطاب النبوي من توجيهات عقدية وشرعية لا غنى للمكلفين عنها.
ولأنَّ الإيمان أصل مسائل الأسماء والأحكام، ومن أهمِّ مسائل العقيدة ومباحثها، و"قطب الدِّين الذي يدور عليه، وليس في القول اسمٌ عُلِّق به السعادة والشقاء، والمدح والذمُّ، والثواب والعقاب، أعظم من اسم الإيمان والكفر"(١)، جاءت هذه الدراسة مخصَّصة لبيان ما دلَّ عليه أسلوب النداء النبوي من مسائل متعلِّقة به.

مشكلة البحث

تظهر مشكلة الدراسة في تفرُّق النداءات النبوية الدالة على مسائل الإيمان في كتب السنَّة التسعة، ونظرًا لكون الحديث النبوي مصدرًا لأصول الاعتقاد التي يجب الإيمان بها، جاءت هذه الدراسة لجمعها والاستقلال بدراستها وبيان المسائل العقدية المتعلِّقة بها.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

١. مكانة السنة النبوية في التشريع الإسلامي، وكونها المصدر الثاني لتلقي العقيدة الصحيحة.
٢. الرغبة في دراسة الحديث النبوي واستخراج مكنوناته.
٣. تعدُّد مسائل الإيمان الواردة في أحاديث النداء، والتي يجدر تناولها بالدراسة والنظر.
٤. الحاجة العلمية لبيان بعض مسائل الإيمان التي تضمَّنتها أحاديث النداء والإفادة منها، لتكون في متناول من الباحثين وطلبة العلم.

أهداف البحث

١. التأكيد على مكانة السنة النبوية وحجيتها في أمور الاعتقاد.
٢. الوقوف على معنى النداء، وأدواته، وأغراضه، ودلالته.
٣. بيان أثر استخدام أسلوب النداء في تقرير مسائل الإيمان لدى المخاطب في السنَّة النبويَّة.

أسئلة البحث

٤. ما مكانة السنة النبوية وهل يُحتج بها في مسائل الاعتقاد؟
٥. ما معنى النداء وما دلالاته وأدواته وأغراضه؟
٦. ما أثر أسلوب النداء في إبراز مسائل الايمان وتوجيه العناية بها في الخطاب النبوي؟

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٥٨).

٧. ما مسائل الإيمان التي تضمَّنها أسلوب النداء في السنة النبوية ودلَّ عليها؟

منهج البحث

سيكون المنهج المتبع في هذا البحث –إن شاء الله تعالى- المنهج الاستقرائي الاستنتاجي

خطة البحث، وتشمل:

المقدمة، واحتوت على: مشكلة البحث، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وأسئلة البحث، وحدوده، والمنهج المتبَّع فيه، وثلاث مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول: النداء تعريفه، أدواته، ودلالاته اللغوية والبيانية

المبحث الثاني: مكانة السنة النبوية وحجيّتها في مسائل الاعتقاد

المبحث الثالث: النداءات النبوية المتعلِّقة بالإيمان، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء النداء فيه دالٌّ على حقيقة الإيمان

المطلب الثاني: ما جاء النداء فيه دالٌّ على فضل الإيمان

الخاتمة، وتشمل النتائج.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول: النداء تعريفه، أدواته، ودلالاته اللغوية والبيانية

أولًا: تعريف النداء لغةً واصطلاحًا

النداء لغة: "النُّداءُ، بالضمِّ والكسر: الصَّوْت"(٢)، وجاء أيضًا: "النِداءُ: الصوت، وقد يُضَمُّ مثل الدُعاءُ والرُغاءُ، ونَادَاهُ مُنَادَاةً ونِدَاءً، أي: صَاحَ بِهِ"(٣)، "ونَادَاهُ أي: دَعَاهُ بِأَرْفَعِ الصَّوْتِ"(٤)، "وَالإِنْدَاءُ: بُعْدُ مَدَى الصَّوْتِ"(٥)، "يقُال: فُلَانٌ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ، أي: أَرْفَعُ وَأَبْعَدُ"(٦)، ومنه حُسْنُ الصَّوْتِ، جاء في المعجم الوسيط: "وَالصَّوْت ارْتَفَعَ وامْتَدَّ فِي حُسْنٍ فَهُوَ نَدِيٌّ، وَأَنْدَى فُلَانٌ...حَسُنَ صَوْتُهُ"(٧).

فمعاني النداء في اللغة تدور حول الصَّوت، وبُعد الصَّوت، وحُسْنه.

النداء اصطلاحا: عُرّف بأنه: "طلب الإقبال، أو حمل المنادى أن يلتفت بإحدى أدوات النداء"(٨)، وعُرّف بأنه: "تنبيه المدعو ليقبل عليك ويجيبك"(٩)، وقيل أيضًا: "هو طلب

---

(٢) القاموس المحيط، الفيروز أبادي، ص١٣٣٨.
(٣) الصحاح، الفارابي (٦/ ٢٥٠٥).
(٤) العين، الفراهيدي (٨/ ٧٨).
(٥) المغرب في ترتيب المعرب، الخوارزمي، ص٤٦٠، ويُنظر: جمهرة اللغة، الأزدي (٢/ ١٠٦١).
(٦) مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/ ٤١٢).
(٧) المعجم الوسيط، (٢/ ٩١٢)، ويُنظر: مختار الصحاح، الحنفي، ص٣٠٧.
(٨) النحو الشافي، محمود مغالسة، ص٤٤٦، ويُنظر: الايضاح، الخطيب القزويني (١/ ١٤٦).
(٩) البديع، ابن الأثير (١/ ٣٨٨)، ويُنظر: اللباب، البغدادي (١/ ٣٢٨).

إقبال المدعو على الداعي بأحد الحروف المخصوصة"[١٠]، وقد ذكر سيبويه: "أنَّ المنادى مختصٌّ من بين أمته لأمرك أو نهيك أو خبرك"[١١]، فالأصل فيه "التصويت بالمنادى لإقباله عليك"[١٢].

ففي المعاني الاصطلاحية يظهر الغرض من النداء، إذِ المراد منه تنبيه المخاطب لاستدعاء سماعه بحديثٍ يخصُّه، وهذ المعنى يتَّسق مع المعاني اللغوية المذكورة.

ثانيًا: حروف النداء

١. **(يَا):** وهي أمُّ حروف النداء، وأصلُ هذا الباب، لإمكان دخولها في نداء البعيد والقريب، وتستعمل في الندبة والترخيم، وقد أجمع النحاة على أنهَّا من أكثر أدوات النداء استعمالًا وأوسعها انتشارًا في كلام العرب[١٣] ولم ينادَ بغيرها في القرآن الكريم[١٤]، وهي تستعمل لنداء البعيد حقيقة أو حكمًا، لإمكان مدِّ الصوت بها وقد يُنادى بها القريب المفاطن للتوكيد[١٥].

٢. **الهمزة:** وهي لنداء القريب وقد أجمع النحاة على ذلك[١٦]، يقول ابن يعيش رحمه الله: "لا يجوز نداء البعيد بالهمزة لعدم المدّ فيها"[١٧]، وهي أقلُّ استعمالًا من (يا) لأنهَّا لا تُستعمل إلا في القريب الـمُصغي إليك[١٨].

٣. **(أَيْ)**: وهي أحد أدوات النداء التي اختلف النحاة فيمن يُنادى بها، فقد قيل يُنادى بها القريب والمتوسط والبعيد [١٩]، إلَّا أنَّ الصواب اختصاصها بالقريب والمتوسط لأنَّ سكون (الياء) فيها لا يُعين على مدِّ الصوت ورفعه لتنبيه البعيد أو الغافل، بخلاف (يا) وما يشبهها من حروف النداء، يقول ابن يعيش رحمه الله:" (أَيْ) و (الهمزةُ) تُستعملان

---

(١٠)شرح تلخيص المفتاح، السبكي (١/ ٤٧٤).

(١١) الكتاب، سيبويه (٢/٢٣١-٢٣٢).

(١٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم الإعجاز، الطالبي (٣/ ١٦١)، وينظر: شرح المفصل، ابن يعيش (٥/ ٥١)، الأصول في النحو، ابن السراج (٣/ ٣٢٩).

(١٣) يُنظر: الجنى الداني، المرادي (١/ ٣٥٤)، البديع، ابن الأثير (١/ ٣٩٢)، شرح الأشموني (٣/ ١٥)، شرح التصريح، الوقاد (٢/ ٢٠٦)، اللمحة، ابن الصائغ (٢/ ٦٠١)، شرح الكافية، الطائي (٣/ ١٢٩٣).

(١٤) يُنظر: معاني النحو، السامرائي (٤/ ٣٢١).

(١٥) يُنظر: شرح الكافية، الطائي (٣/ ١٢٨٩)، ويُنظر: شرح المفصل لابن يعيش (١/ ٣٦١)، شرح الأشموني (٣/ ١٦).

(١٦) يُنظر: شرح المفصل لابن يعيش (١/ ٣٦١)، الكتاب، سيبويه (١/ ٢٢٩)، شرح الكافية، الطائي (٣/ ١٢٨٩)، علل النحو، الورَّاق، ص٣٤٧.

(١٧) شرح المفصّل لابن يعيش (١/٣٦١).

(١٨) ينظر: المقدمة الجزولية، الجزولي، ص١٨٧، رصف المباني، المالقي، ص١٤٢.

(١٩) يُنظر: همع الهوامع، السيوطي، ص٢٣٣.

إذا كان صاحبك قريبًا، وإنما كان كذلك من قِبَل أنَّ البعيد والمتراخي والنائم المستثقل والساهي، يُفتقر في دعائهم إلى رفعِ صوت ومَدِّه، وهذه الأحرف الثلاثة التي هي (يا، وأَيَا، وهَيَا) أواخرهن أَلِفاتٌ، والألفُ مُلازِمة للمدِّ، فاستُعملت في دعائهم لإمكان امتداد الصوت ورَفعِه بها، وليست الياءُ هنا في (أَيْ) كذلك؛ لأنها ليست مدَّة من حيث كان ما قبلها مفتوحًا...والهمزةُ ليست من حروف المدِّ، فاستُعملت للقريب"[٢٠] [٢١].

٤. **(أَيَا، هَيَا):** وهما لنداء البعيد كما اتفق على ذلك النحاة[٢٢]، ومما يُذكر أنَّ (هيا) هي في أصلها (أيا)[٢٣]، لأنَّ من سنن العرب في الكلام إبدال الهمزة هاء، نحو: (إيَّاكَ) و (هيَّاكَ)، و (أرحت دابتي) و (هرحْتُها) و (أَرَقْتُ المَاءَ) و (أَهْرَقْتُهُ)[٢٤].

٥. **(وَا):** جمهور النحاة على أنَّها أداة مختصة بالندبة، لأنَّها موضع يقتضي رفع الصوت ومدُّه[٢٥]، وبها يخبر المتكلم عن أمر عظيم قد وقع، فـ "المندوب لا يُنَادَى ليجيب، بل يُنادَى ليشهر النَّادِب مصيبته، وأنَّه قد وقع في أمرٍ عظيم، وخطب جسيم، ويظهر تفجّعه"[٢٦]، يقول سيبويه: "المندوب مدعو لكنه متفجَّعٌ عليه، فإن شئت ألحقت في آخر الاسم ألف، لأنَّ الندبة كانوا يترنَّمون فيها"[٢٧]، ويذكر بعض النحاة أنَّها تستعمل أيضًا للنداء المحض، نحو: (وَا زَيْدُ أَقْبِل) وهو خلاف ما عليه الجمهور[٢٨].

٦. **(آ)، (آي):** وهما لنداء البعيد، إلا أن سيبويه لم يذكرها ضمن أدوات النداء، ولكنها نُقلت عن العرب الذين وُثق بعربيَّتهم واعتُمد النقل عنهم، يقول ابن مالك رحمه الله: "ولم يذكر مع حروف النداء (آ) و (آي) بالمد إلا الكوفيون، رووها عن العرب الذين يثقون بعربيتهم، ورواية العدل مقبولة"[٢٩].

---

(٢٠) شرح المفصل لابن يعيش (٥/٤٨).

(٢١) أما سيبويه فقد ذهب إلى مناسبتها لنداء البعيد والمُعرض والنائم المستثقل، ولم يخصص بنداء القريب إلا الهمزة. (يُنظر الكتاب، سيبويه (٢/٢٢٩/٢٣٠)، ووافقه ابن مالك في شرح التسهيل (٣/٣٨٦).

(٢٢) يُنظر: الكتاب لسيبويه (٢/٢٢٩)، الكافية، ابن الحاجب، ص٤٥، اللمحة، ابن الصائغ (٢/ ٦٠١)، الكنّاش، أبو الفداء (٣/ ١٥)، علل النحو، الوراق (١/ ٣٤٧).

(٢٣) يًنظر: شرح المفصل لابن يعيش (٥/٤٩)، البديع في علم العربية، ابن الأثير (١٢/٣٩٢).

(٢٤) ينظر: الكتاب لسيبويه (٤/٢٣٨)، سر صناعة الإعراب، الموصلي (٢/ ٤٩)، شرح التصريف، الثمانيني، ص٣٥٥، أمالي القالي (٢/ ١٨٧).

(٢٥) يُنظر: المقدمة الجزولية، الجزولي، ص١٨٧، همع الهوامع، السيوطي (٢/ ٦٥)، شرح المفصل لابن يعيش (٥/ ٤٨)، شرح الأشموني (٣/ ١٥)، المفصل، الزمخشري، ص٤١٣.

(٢٦) أسرار العربية، الأنباري، ص١٨٤، ويُنظر: المقتضب، ابن المبرد (٤/ ٢٦٨).

(٢٧) الكتاب، سيبويه (٢/ ٢٢٠)، وينظر: شرح المفصل لابن يعيش (١/ ٣٥٨).

(٢٨) الجنى الداني، المرادي، ص٣٥٢، ويُنظر: توضيح المقاصد، المرادي (١/ ١٢١).

(٢٩) شرح تسهيل الفوائد، ابن مالك (٣/ ٣٨٦).

وبعضهم ضمَّن أدوات النداء معنى التوكيد -بالإضافة إلى التنبيه- خصوصًا عند نداء القريب بأداة نداء البعيد، يقول ابن السراج رحمه الله: "ويجوز أن تستعمل هذه الخمسة[٣٠] إذا كان صاحبك قريبًا مقبلًا عليك توكيدًا، وإن شئت حذفتهن كلهن استغناءً إلا في المبهم والنكرة"[٣١].

المبحث الثاني: مكانة السنة النبوية وحجيّتها في مسائل الاعتقاد

إن من مسلَّمات الاعتقاد؛ العلمُ بأنَّ القرآن والسنَّة مصادر التلقي في الإسلام، فكلاهما وحي الله تعالى ولا يُستغنى بأحدهما عن الآخر، بل ولا يكفي واحد منهما في بيان جميع مسائل الاعتقاد فهما لُبُّ الدين وأساس العقيدة ومصدرها.

فالقرآن كلام الله تعالى، والسنَّة النبويَّة جاءت شارحة مبينةً لما تضمَّنه من مسائل وأحكام تتعلق بأصول الدين وفروعه -بل ومستقلةً بها في بعض الأحيان- فهي شطر الوحي، ولا تقلُّ عن القرآن في الحجيَّة والاعتبار، "فكلُّ ما يحتاج الناس إليه في دينهم فقد بيَّنه الله ورسوله بيانًا شافيًا، فكيف بأصول التوحيد والإيمان!"[٣٢].

إنَّ تلك المكانة العظيمة للسنة جعلت أهل العلم يجمعون على أنَّ طلبها من أحسن ما عُمرت به الأوقات، والاشتغال بها من أجلِّ الطاعات والقربات، حتى جعلوا علم الحديث وطلب السنة من أفضل العلوم الفاضلة، لثقة ارتباطها بأصول الدين وفروعه، فهي شطر الدين وقسيمة الوحي[٣٣]، ونظرًا لخطورة الزلل فيها على صحة المعتقد؛ تعيّن بيان تلك المكانة بالأدلة، للقطع بأنها وحي من عند الله، ومصدر للعقيدة والشريعة والأخلاق، وحجة شرعيَّة يجب اعتبارها واتباعها.

ولا شكَّ بأن أجلَّ ما يُستدلُّ به على حجيَّة السنة هو كلام الله تعالى، فمنه عُرفت مكانة السنَّة من الوحي، ولعلَّ الأدلة القرآنية هي أهم ما يُورد في هذا؛ لأنَّ أكثر من يُنكر حجيَّة السنَّة يدَّعي الأخذ بالقرآن الكريم، والاقتصار على ما جاء فيه، وهو في الحقيقة تاركٌ لكليهما، فإنَّ القرآن جاء بالحثِّ على اتباع الرسول ﷺ، والتأسِّي به، والأخذ بسنَّته، فمن اطَّرح السنَّة بدعوى الاقتصار على القرآن فهو لم يأخذ بواحدٍ منهما، يقول أيوب السختياني رحمه الله: "إذا سمعت أحدهم يقول لا نريد إلا القرآن؛ فذاك حين ترك القرآن"[٣٤]، فإنَّ من تمام الأخذ بالقرآن الأخذ السنَّة والعمل بما جاء فيها، ومن أدلة ذلك،

(٣٠) يعني أدوات النداء، وعدّتها عنده وعند سيبويه خمسة لأن حرفي (آ، آي) لم يضمنها أدوات النداء التي ذكرها.

(٣١) الأصول في النحو، ابن السراج (١/٣٢٩)، ويُنظر: الكتاب، سيبويه (١/ ٢٢٩).

(٣٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٧/ ٤٤٣)، ويُنظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (١/ ٢٧).

(٣٣) يُنظر: مقدمة ابن الصلاح، ص٥، ويُنظر: شرف أصحاب الحديث، البغدادي، ص٨، ألفية العراقي (١/ ٩٧).

(٣٤) ذم الكلام وأهله، الهروي (٢/ ٥٩).

قوله تعالى: فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما [النساء: ٦٥] يقول ابن القيم رحمه الله: "أقسم سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن العباد حتى يحكِّموا رسوله ﷺ في كلِّ ما شجر بينهم من الدقيق والجليل، ولم يكتفِ في إيمانهم بهذا التحكيم بمجرَّده حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه، ولم يكتفِ منهم أيضًا بذلك حتى يسلِّموا تسليمًا، وينقادوا انقيادًا"(٣٥)، كما أنَّ من الأدلة قوله تعالى: ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة [النساء: ١١٣]، يقول ابن رجب رحمه الله: "ومَن قال: الحكمةُ السنَّة، فقولُه حقٌّ؛ لأنَّ السنةَ تفسِّرُ القرآنَ وتبينُ معانيه"(٣٦)، وقال الشافعي رحمه الله: "فذكر الله الكتاب، وهو القُرَآن، وذكر الحِكْمَة، فسمعتُ مَنْ أرْضى من أهل العلم بالقُرَآن يقول: الحكمة سنة رسول الله وهذا يشبه ما قال، والله أعلم؛ لأنَّ القرآن ذُكر وأُتْبِعَتْه الحكمة، وذكرَ الله منَّته على خَلْقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يَجُزْ -والله أعلم- أن يُقال الحكمة هاهنا إلا سنَّةُ رسول الله، وذلك أنهَّا مقرونة مع كتاب الله، وأنَّ الله افترض طاعة رسوله ﷺ، وحتَّم على الناس اتباع أمره، فلا يجوز أن يقال لقولٍ: فرضٌ، إلا لكتاب الله، ثم سنة رسوله، لِمَا وصَفْنا من أنَّ الله جعل الإيمان برسوله مقرونًا بالإيمان به، وسنة رسول الله مُبَيِّنَة عن الله معنى ما أراد، دليلاً على خاصِّه وعامِّه، ثم قرن الحكمة بها بكتابه، فاتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله ﷺ"(٣٧)، ومن أدلَّة حجِّيتها ما ذكره ابن حجر رحمه الله في معنى قوله تعالى: لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم [النساء: ٥٩]، قال: "والنُّكتة في إعادة العامل في الرسول دون أولي الأمر مع أنَّ المطاع في الحقيقة هو الله تعالى؛ كون الذي يُعرف به ما يقع به التكليف هما: القرآن والسنة، فكأنَّ التقدير: أطيعوا الله فيما نصَّ عليكم في القرآن، وأطيعوا الرسول فيما بيَّن لكم من القرآن، وما ينصُّه عليكم من السنة، أو المعنى: أطيعوا الله فيما يأمركم به من الوحي المتعبَّد بتلاوته، وأطيعوا الرسول فيما يأمركم به من الوحي الذي ليس بقرآن"(٣٨)، فالطاعة واجبة للنبي ﷺ على وجه الاستقلال، يقول ابن القيم رحمه الله: "فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله، وأعاد الفعل إعلامًا بأنَّ طاعة

---

(٣٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩١م/١٤١١هـ (١/٤١).

(٣٦) روائع التفسير، ابن رجب (٢/ ٤٢٩).

(٣٧) الرسالة، الشافعي، ص٧٨-٧٩.

(٣٨) فتح الباري، ابن حجر (١٣/ ١١١).

الرسول تجب استقلالًا من غير عَرْض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقًا"[٣٩].

وإطلاق لفظ الطاعة وإيجابها استقلالًا للنبي ﷺ وترتيب الإيمان عليها، والكفر لمن خالف أمره[٤٠]، لَهُو من أوضح الأدلة وأَجْلَاها على حجيَّة سنته ﷺ، فلو أمر بما لا وجود له في القرآن وجبت طاعته، وامتثال أمره لأنَّ الله تعالى قال عنه: وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ [النجم: ٣]، فـ "السُّنة كالوحي المنزَّل في العمل"[٤١]، ووجوب اتباع ما جاء في السُّنة كوجوب اتباع ما جاء في القرآن.

هذا وقد بذل السلف رحمهم الله عنايتهم بالسنَّة النبويَّة فقد كانوا يرفعون من شأن الحديث وأهله، بل ويضربون الأرض في طلبه وجمعه وتمييز صحيحه من ضعيفِه، لأنها أصلٌ من أصول الإسلام، وعليها مدار فهم كلام الله وتقرير معظم الأحكام، لذا أجمعوا رحمهم الله على الاحتجاج بها، ووجوب العمل بمقتضاها[٤٢]، وقد نقل الإجماع على حجيَّة السنة جماعة من السلف منهم الشافعي رحمه الله حين قال: "لم أسمع أحدًا نسبَهُ الناس أو نسب نفسه إلى علم؛ يخالف في أنَّ الله ﷻ فرض اتباع أمر رسول الله ﷺ والتسليم لحكمه...وأنَّه لا يلزم قول بكلِّ حال إلا بكتاب الله عزَّ وجلَّ أو سنة رسوله ﷺ وأنَّ ما سواهما تبع لهما"[٤٣].

وقال ابن حزم رحمه الله عند قوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم [النساء: ٥٩]: "والبرهان على أنَّ المراد بهذا الردُّ إنما هو إلى القرآنِ، والخَبَرِ عن ﷺ؛ لأنَّ الأمَّة مُجمِعة على أنَّ هذا الخطاب متوجِّه إلينا، وإلى كلِّ مَنْ يُخلق ويُركَّب روحُه في جسده إلى يوم القيامة من الجِنَّة والناس، كتوجُّهِه إلى مَنْ كان على عهد رسول الله ﷺ، وكلِّ مَنْ أتى بعده ﷺ وقبلنا، ولا فرق"[٤٤]، وقال أيضًا رحمه الله: "لم يختلف فيه مسلمان في أنَّ ما صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قالَهُ؛ ففرضٌ اتباعه، وأنَّه تفسيرٌ لمراد الله تعالى في القرآن، وبيانٌ لمجمله"[٤٥].

---

(٣٩) إعلام الموقعين، ابن القيم (٣٨/١).

(٤٠) قال الفضل بن زياد: قال الإمام أحمد: نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعًا، ويقول: وما الفتنة؟ الشرك، لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيءٌ من الزيغ، فيزيغ قلبه فيهلكه". الجامع لعلوم الإمام أحمد (٤/ ١١٣)، ويُنظر: الاستذكار، القرطبي (٥/ ٤٥٣).

(٤١) تفسير القرطبي (٨٥/١٧).

(٤٢) يُنظر: حجية السنة، عبد الغني عبد الخالق، ص٣٤٢.

(٤٣) الأم، الشافعي (٧/ ٢٨٧)، ويُنظر: جماع العلم، الشافعي، ص٣.

(٤٤) الإحكام، ابن حزم (١/ ٩٧).

(٤٥) الإحكام، ابن حزم (١٠٤/١).

وقال ابن تيمية رحمه الله: "وليُعلم أنَّه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولًا عامًّا يتعمَّد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سُنَّتِه دقيق ولا جليل، فإنَّهم مُتَّفقون اتِّفاقًا يقينيًّا على وجوب اتِّباع الرسول ﷺ، وعلى أنَّ كلَّ أحدٍ من الناس يؤخذ من قوله ويُترك إلاَّ رسول الله ﷺ"[٤٦].

فهذه جملة من دلائل حجيَّة السنَّة النبويَّة يظهر معها مكانتها من الدِّين، فهي من ضرورات الرسالة التي يكمل معها بلاغ القرآن وقيام الحجَّة، وهي بيانٌ ضمني لحفظ السنَّة مع التأكيد على استقلالها عن القرآن الكريم، وعليه فإنَّ إنكار السنة أو التشكيك في مكانتها وحجيتها نقصٌ في الإيمان وعلامة البدعة، يقول البربهاري رحمه الله: "وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها، أو ينكر شيئًا من أخبار رسول الله ﷺ فاتَّهمه على الإسلام؛ فإنَّه رجل رديء القول والمذهب"[٤٧]، فالسنَّة وحي الله تعالى على لسان رسوله ﷺ حقُّها التعظيم والتسليم والانقياد، "فليتقِّ المرء الاستخفاف بالسُّنن، ومواضع التوقيف"[٤٨].

المبحث الثالث: النداءات النبوية المتعلِّقة بالإيمان، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء النداء فيه دالٌّ على حقيقة الإيمان

إن المتقرِّر عند أهل السنة والجماعة في الإيمان أنَّه قولٌ وعملٌ، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[٤٩]، وعليه فمعناه عند السلف "جميع الطَّاعات الباطنة والظاهرة، والباطنة أعمال القلب، وهو تصديق القلب، والظاهرة هي أفعال البدن والواجبات والمندوبات"[٥٠]، فإنَّ اجتماع الأقوال والأعمال الواجبة، الباطنة والظاهرة، هو مجموع الإيمان الواجب الكامل [٥١]، فهو "حقيقة مركَّبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علمًا، والتصديق به عقدًا، والإقرار به نطقًا، والانقياد له محبةً وخضوعًا، والعمل به باطنًا وظاهرًا"[٥٢]، لأنَّه "قولٌ، وعملٌ، ونيَّة"[٥٣].

وعلى هذا المعنى انعقد إجماع السلف، يقول ابن عبد البرِّ رحمه الله: "أجمع أهل الفقه والحديث على أنَّ الإيمان قولٌ وعمل، ولا عمل إلا بنيَّة"[٥٤]، ونقل البغوي رحمه

(٤٦) رفع الملام، ابن تيمية، ص٨-٩.
(٤٧) شرح السنة، البربهاري ص٧٩، ويُنظر: الحجة، الأصبهاني (٢/٤٥٩).
(٤٨) بستان العارفين، النووي، ص٥٠.
(٤٩) يُنظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/١٥١).
(٥٠) مسائل الإيمان، أبو يعلى، ص١٥٢.
(٥١) يُنظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٨/ ٢٧٦).
(٥٢) الفوائد لابن القيم، ص١٠٧.
(٥٣) أصول السنة، ابن حنبل، ص٣٤.
(٥٤) التمهيد، ابن عبد البر (٩/ ٢٣٨).

الله: "اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة، على أنَّ الأعمال من الإيمان...وقالوا: إنَّ الإيمان قولٌ، وعملٌ، وعقيدة"(٥٥).

وإنما عرَّف السلف الإيمان بهذا المعنى وأجمعوا عليه لأنَّ هذا المعنى هو الذي دلَّت عليه النصوص الشرعية، وقد جاءت النداءات النبوية تمثِّلُ جزءًا من النصوص التي تضمنت عددًا من المسائل المتعلقة بالإيمان، وغيره من مسائل الاعتقاد.

فعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ** لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ)(٥٦).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: **(يَا بِلَالُ، خَبِّرْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ مَنْفَعَةً فِي الْإِسْلَامِ،** فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ دفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ)(٥٧).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ زَمَنَ الشِّتَاءِ وَالْوَرَقُ يَتَهَافَتُ، فَأَخَذَ بِغُصْنَيْنِ مِنْ شَجَرَةٍ، قَالَ: فَجَعَلَ ذَلِكَ الْوَرَقُ يَتَهَافَتُ، قَالَ: فَقَالَ: **(يَا أَبَا ذَرٍّ)، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ يُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللهِ، فَتَهَافَتُ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا يَتَهَافَتُ هَذَا الْوَرَقُ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ)**(٥٨).

وعن زُهْرَةُ -يَعْنِي ابْنَ مَعْبَدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ هِشَامٍ أَبُو عَقِيلٍ- عَنْ جَدِّهِ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ عُمَرُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ)، فَقَالَ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(الْآنَ يَا عُمَرُ)**(٥٩).

---

(٥٥) شرح السنة، البغوي (١/٣٧-٣٨).

(٥٦) حسن لغيره، أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الأدب، باب الغيبة (٤/٤٢١)، برقم: ٤٨٨٠، قال الهيثمي: رجاله ثقات، منبع الفوائد (٨/٩٣)، وصحَّحه الألباني وحسَّنهُ في صحيح الترغيب، ص٢٣٤٠.

(٥٧) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي ﷺ، (٥/١٢)، برقم: ٣٦٩٢.

(٥٨) حسن لغيره، أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند الأنصار، حديث أبي ذر الغفاري ﷺ (٩/٥٠٤٢)، برقم: ٢١٩٥٧، قال عنه المنذري: إسناده حسن (١٢/١٩٢)، وحسَّنه الدمياطي في المتجر الرابح، ص٣٧.

(٥٩) أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ (٨/١٢٩)، برقم: ٦٦٣٢.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(يَا عَائِشَةُ، إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ طَالِبًا)**(٦٠).

المسائل العقدية المتعلقة بأسلوب النداء

أولًا: صُدِّر النداء النبوي **(يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ)** بـ (يا) التي غلب في استعمالها نداءُ البعيد، للإشارة إلى معنى مجازي يتضمَّنه الخطاب -لأنَّ الأصل في استخدامها نداء البعيد- وهو التقليل من شأن المنادى وتبعيده(٦١)، كما أنَّ تصدير النداء بها لمن كان هذا وَصْفُه يتضمَّن الدلالة على أنَّ من اكتفى في الإيمان بالقول دون التصديق والعمل، فقد فارق الإيمان الحقيقي وابتعد عنه، لأنَّ الإيمان لا يستقيم بالقول والألفاظ المجردة، وفي هذا شبهٌ بالمنافقين الذين هم أبعدُ ما يكون عن الإيمان وأهله(٦٢)، الذين جاء النداء بذكر أشهر صفاتهم.

كما أنَّ مجيء النداء النبوي بالصفةِ دالٌّ على تخصيص الموصوفين بمراد الخطاب ومقصودِه أكثر من غيرهم(٦٣)، لذا جاء النداء النبوي بالصفة العامَّة دون تسمية المنافقين -مع كون هذه الصفة هي أخصُّ صفاتهم- ليشمل الخطاب كلَّ من كانت هذه صفته سواء من المنافقين أو غيرهم ممن نقص إيمانه، فمن كانت هذه صفته فهو ناقص الإيمان، وهذا النداء يتفق مع قوله تعالى: قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم [الحجرات: ١٤]، فـ"هؤلاء قد قالت طائفة: إنَّهم أسلموا ظاهراً مع كونهم منافقين، وقال الأكثرون: بل كانوا مسلمين غير منافقين، ولا واصلين إلى حقيقة الإيمان"(٦٤)، يقول ابن تيمية رحمه الله: "فإنَّ المظهرين الإسلام ينقسمون إلى مؤمن ومنافق، فالفارق بين المؤمن والمنافق هو الصدق"(٦٥)، "ونفي الإيمان المطلق لا يستلزم أن يكونوا منافقين"(٦٦)، وفي كلا المعنيين؛ فإنَّ النداء بالحرف الذي يُستخدم لنداء البعيد فيه إشارة إلى مفارقة الإيمان الحقِّ والابتعاد عنه، في حقِّ أهل النفاق، وبُعد من كان عنده نقص في إيمانه عن الإيمان المطلق الكامل.

---

(٦٠) صحيح، أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب (٦٣٥/٥)، برقم: ٤٢٣٤، قال عنه البوصيري: إسناده صحيح رجاله ثقات، حاشية السندي (٥٦٠/٢) وقال المنذري: إسناده حسن أو صحيح أو ما قاربهما، الترغيب والترهيب (٢٨٩/٣).

(٦١) يُنظر: مجازات النداء، ظافر العمري، ص ١٦٢ وَ ص٢٢٥.

(٦٢) يُنظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٥٥٠/٧)، درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (٤٣٦/٧).

(٦٣) يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣١٤/٢١) وَ (٢٥٥/٢٩).

(٦٤) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (٤٣٥/٧).

(٦٥) أمراض القلوب، ابن تيمية، ص٤٠.

(٦٦) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ٢٤٣).

كما أنَّ من معاني نداء القريب بها؛ حثُّ المنادى على بذل الجهد في تنفيذ ما وُجّه إليه(٦٧)، وهذا يتضمَّن الحثُّ النبوي على بذل الجهد في البُعد عن كلِّ ما ينافي أصل الإيمان أو كماله، من ذلك الغيبة التي يُذكر أنها شعار المنافق(٦٨).

أما تصدير النداء بها في حديث أبي هريرة ﷺ **(يَا بِلَالُ، خَبِّرْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ مَنْفَعَةً فِي الْإِسْلَامِ)** وحديث أبي ذر ﷺ **(يَا أَبَا ذَرٍّ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ يُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللهِ...)** دليلٌ على علوِّ شأن العمل في الإيمان، وعلى علوِّ شأن الصلاة على وجه الخصوص ومنزلتها من الدِّين، فكلما كان الأمر عظيمًا وذا منزله خُوطِب بما يفي بهذه المنزلة من بذل الجهد في السعي له، وكأنَّ المخاطب غافل أو بعيدٌ عنه(٦٩)، فقد عظَّم الله تبارك وتعالى شأن الصلاة بقوله: واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين [البقرة: ٤٥]، ذكر الطبري رحمه الله في تفسيره: "قال ابن زيد في قوله: وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الآية، قال: قال المشركون: والله يا محمد إنك لتدعونا إلى أمر كبير! قال: إلى الصلاة والإيمان بالله جل ثناؤه"، ثم قال في معنى كبيرة: شديدة ثقيلة(٧٠)، فإنَّ ما يَكبُر يَثقُل على الإنسان حَملُه(٧١)، فناسب النداء بهذا الأسلوب لثقل أمر الصَّلاة وعظم شأنها، وإن كان أمرها يسيرًا على من وفَّقه الله له(٧٢).

والنداء بهذه الأداة، وهذا الأسلوب يتَّفق مع ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة في علاقة الإيمان بالعمل وعلوِّ منزلته فيه، وأنَّ المرء لا يستقيم له إيمانٌ بدون عمل، خلافًا لما ذهب إليه غيرهم ممن خالفهم في هذا الباب كما سيأتي.

وإنما استحقَّ بلالًا ﷺ عنه هذا الثواب بمحافظته على ركعتي الوضوء، لأنَّ "الوضوء من خِصال الإيمان الخفيَّة التي لا يُحافِظُ عليها إلاَّ مُؤمن"(٧٣)، فجاء النداء النبوي بأسلوب البعد إشادة بعمله وبالثواب الذي ناله بسببه، حتى حصل له السَّبق في دخول الجنة(٧٤).

---

(٦٧) يُنظر: حاشية القونوي (١٥/ ٢٩٠).
(٦٨) يُنظر: عون المعبود، الصديقي (١٣/ ١٥٣).
(٦٩) يُنظر: المطوَّل، التفتازاني، ص٤٣٠.
(٧٠) تفسير الطبري (١/ ١٥).
(٧١) التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، ت: جامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي، ط١، ١٤٣٠هـ (٢/ ٤٥٢).
(٧٢) يُنظر: حاشية القونوي (١٥/ ٢٩٠).
(٧٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب (٢/٦٣٦).
(٧٤) قد يظهر من أسلوب النداء أن بلالًا ﷺ سبق النبي ﷺ في دخول الجنة، والصواب أن لا أحد يسبق النبي ﷺ في دخول الجنة على الإطلاق، وقد قيل في المراد بقوله ﷺ: (دفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ)، وفي رواية أخرى: (بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الجنَّة) ، أنَّ هذا أمرٌ كُوشِف به ﷺ

وفي النداء النبوي لعمر ﵁ (**الْآنَ يَا عُمَرُ**) تجلَّت البلاغة النبوية بتقديم الخبر على النداء لما في ذلك من التأكيد على أنَّه بذلك بلغ كمال الإيمان بجوابه، وأنَّ جوابه هذا هو ما يجب أن يُقال، فالأصل في النداء التنبيه وطلب الإقبال فإذا جاءت جملة النداء متأخرة عن الخبر، كان ذلك تأكيدًا له(٧٥)، ولأنَّ حوار النبي ﷺ مع عمر ﵁ كان عن ماله علاقة بالنفس؛ جاء جواب النبي ﷺ مبتدئًا فيه بتأكيد ردِّه ﵁ متبوعًا بنداء اسمه ﵁، للتأكيد على أنَّ اكتمال الإيمان يكون بتقديم محبة النبي ﷺ حتى على النفس، فإذا كان الأمر له علاقة بالنفس ذُكر الاسم الصريح مقرونًا بها، وهذا يتكرَّر في القرآن والسنة (٧٦)، كقوله تعالى: قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها **يوسف** في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون [يوسف: ٧٧]، وقوله: قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ [طه: ٦٧]، ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه [يوسف: ٦٨]، وفي السُّنة أيضًا، قوله ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ)(٧٧)، فناداه النبي ﷺ باسمه الصريح الذي يدلُّ على ذاته دون غيرها، وكأنّ المراد أنك بهذا لآن عرفت ونطقت بما يجب، وأنك بهذا الجواب بلغت كمال الإيمان بتقديمك محبتي على نفسك(٧٨).

كما أنَّ النداء بصيغة البُعد له دلائل منها: علوُّ شأن عمر بن الخطاب ﵁ حيث جاء النداء بالبُعد بالرغم من قربه ﵁ للدلالة على بلوغه منزلة عالية من الإيمان دلَّ عليها جوابه، فالنداء بصيغة البُعد للقريب يدلُّ على علوِّ الشأن ورفعةِ القدر، كما دلَّت هذه الصيغة على أنَّ الذي ناداه لأجله أمرٌ تتكلَّفُه النَّفس، وهو يسيرٌ على من وفَّقه الله له(٧٩)، فتقديم محبة الله تعالى ورسوله ﷺ على كلِّ أحد، أمرٌ عظيم يشقُّ تناوله إلا على من آمن بالله تعالى

من عالم الغيب في نومه، أو يقظته، أو بين النوم واليقظة، أو رأى ذلك ليلةَ المعراج، ومشيُه بين يديه ﷺ كان على سبيل الخِدمة، كما جرت العادة بتقديم بعض الخدم بين يدي مخدومه، وإنما أخبره ﷺ بما رآه ليَطِيبَ قلبُه ويداومَ على ذلك العمل، ولترغيب السامعين إليه، وقيل المراد: بأي عملٍ سبقتَ لفعله دون أن أُعلمك به، وأدعوك إليه، فـجَعْلُ السَّبْق فيما يُدخل الجنة، كالسَّبْق في دخول الجنة، إذ ليس لنبيٍ من الأنبياء أن يسبقه ﷺ، فكيف لأحد من أمته. يُنظر: شرح مصابيح السنة للإمام البغوي (٢/ ٢٠٢)، طرح التثريب، العراقي (٢/ ٥٧)، إرشاد الساري، القسطلاني (٢/ ٣٢٦)، المفاتيح، المظهري (٣/ ٣٠١).

(٧٥) يُنظر: النداء بالعلمية في الخطاب النبوي، هشام عفيفي، ص١٢.

(٧٦) يُنظر: النداء بالعلَميَّة في الخطاب النبوي، هشام عفيفي، ص٤٣.

(٧٧) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، (٦٧٣/٢)، برقم: ١٨٠٥.

(٧٨) يُنظر: فتح الباري، ابن حجر (١١/ ٥٢٨)، اللامع الصبيح، العسقلاني (١٦/ ١٣٦).

(٧٩) يُنظر: حاشية القونوي (١٥/ ٢٩٠).

حقَّ الإيمان، وهو علامةٌ فارقة بين المؤمنين الصادقين وغيرهم، فناسب النداء بصيغة البعد الدالَّة على عظم شأن هذا الأمر.
ولأنَّ "محبة الله ورسوله ﷺ من أعظم واجبات الايمان، وأكبر أَوْصُله، وأجلُّ قواعده، بل هي أصلُ كلِّ عملٍ من أعمال الإيمان والدين"[٨٠]، جاء النداء النبوي لعمر ﷺ للتنويه بعظم شأن هذه المحبة التي يجب أن تستقرَّ في نفس كلِّ مؤمن، فهو ﷺ لم يُرِدْ به حُبَّ الطَّبْع، بل أراد به حُبَّ الاختيار، لأنَّ حُبَّ الإنسان نفسه طبعٌ ولا سبيل إلى قلبه[٨١]، كما لم يكن مراده ﷺ اعتقاد التعظيم، بل المراد ميلٌ إلى الـمُعَظَّم وتعلُّق القلب به، فالنداء النبوي لعمر ﷺ بعد جوابه يدلُّ على أنَّ من لم يجد ذلك الميل لم يكمل إيمانه[٨٢]، لأنَّ اعتقاد الأعظمية لا يستلزم المحبة دائمًا، فقد يجد الإنسان إعظام أمرٍ أو شخص ما مع خلوِّه من محبته[٨٣]، لذا جاء النبوي بعد جوابه الثاني يؤكِّد هذا المعنى فقال له ﷺ: (الآنَ يَا عُمَر) أي: الآن عرفتَ فنطقتَ بما يجب[٨٤]، أو الآن كَمُلَ إيمانك[٨٥]، فلا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يُقدِّم محبة الرَّسول ﷺ على محبة جميع الخلق، ومحبة الرَّسول ﷺ تابعةٌ لمحبة مُرْسِلِه سبحانه وتعالى[٨٦].
فحلاوة الإيمان ولَذَّته تتبع كمال محبة الله، وتكمليها؛ أن يكون الله ورسوله أحبَّ إلى العبد مما سواهما، فلا يكفي في محبَّتهما أصل الحبِّ فحسب، بل يجب أن تُقدَّم محبَّة الله عزَّ وجل ورسوله ﷺ، على محبَّة كل أحد[٨٧].
أما النداء النبوي لعائشة رضي الله عنها **(يَا عَائِشَةُ إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فإنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ طَالِبًا)** فقد جاء مقرونًا بالتحذير من صغائر الذنوب؛ لخفائها واستصغار العبد لها وعدم مبالاته باقترافها فلا يلتفت لها ولا يخصها بتوبة[٨٨]، فضلًا عما يترتب على قلب صاحبها وإيمانه من الاستهانة بها، لذا خُتم النداء النبوي بقوله ﷺ: (فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَالِبًا)، أي: نوعًا من العذاب يعقبه، يطلبه طلبًا لا مَردَّ له، والتنوين للتعظيم،

---

(٨٠) أمراض القلوب وشفاؤها، ابن تيمية، ص٥٩، ويُنظر: التحفة العراقية، ابن تيمية، ص٥٩.
(٨١) يُنظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ١٥).
(٨٢) يُنظر: المفهم، القرطبي (١/ ٢٢٦).
(٨٣) يُنظر: المفهم، القرطبي (١/ ٢٢٥)، ويُنظر: فتح الباري، ابن حجر (١/ ٥٩).
(٨٤) يُنظر: فتح الباري، ابن حجر (١١/ ٥٢٨)، وعلّق ابن حجر: أنه لا يصحُّ أن يقال غير ذلك في حق صحابي كعمر ﷺ، كأن يقال بأن إيمانه لم يكن مُعتدًّا به قبل جوابه هذا.
(٨٥) يُنظر: اللامع الصبيح، العسقلاني (١٦/ ١٣٦).
(٨٦) يُنظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب (٢/ ٣٩٦).
(٨٧) يُنظر: العبودية، ابن تيمية، ص١١١.
(٨٨) يُنظر: شرح سنن ابن ماجة، الأُرمي (٢٦/ ٩٦)، ويُنظر: مرقاة المفاتيح، القاري (٨/ ٣٣٥٧).

والمعنى: طالبًا عظيمًا لا ينبغي أن يُغفل عنه، بل ينبغي أن يُخشى منه[٨٩]، وقيل: ملَكًا مكلَّفًا بالبحث عنها، فيطلبها فيكتبها، فهي عند الله عظيمة، حيثُ خَصَّ لأجلها ملكًا[٩٠].

ولهذه المعاني جاء النداء بصيغة البعد لملاءمتها محتوى الخطاب، فافتتاح الكلام بها إذا كان المخاطب واحدًا، ولم يكن بعيدًا يدلُّ على الاعتناء بما سيلقى إلى المخاطب من كلام[٩١]، خصوصًا وأنَّ "النداء ليس مقصوداً بالذات، بل هو لتنبيه المخاطب ليصغي إلى ما يجيء بعده من الكلام المنادى له"[٩٢]، لذا جاء نداء النبي ﷺ متبوعًا بـ (إيَّاكِ) والتي تعني التخويف ومباعدة النفس عما حُذِّر منه[٩٣]، للحثِّ على حفظ الجوارح من صغائر الذنوب التي قد لا يبالي بها فاعلها، وَوَصْفُ النبي ﷺ لها (بالمحقِّرات) يتأكد معه أن المرء يستهين بها ويحتقرها عند فعلها[٩٤]، ولأنها كذلك جاء بالنداء مخصَّصًا بها لاستدعاء الاهتمام بها، والحرص على بذل الجهد في الابتعاد عنها، لأنها مما يكثر الوقوع فيها مع الظنِّ بأنَّها لا تضرُّ الإيمان، فجاء النداء مخصصًا بها لبيان خطرها وجسيم ضررها على قلب صاحبها و إيمانه، فـ "المحقّرات إذا اجتمعت مع الإصرار صارت كبارًا"[٩٥]، واجتماعها مدعاة لهلاك صاحبها، يقول النبي ﷺ: (إيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى حَمَلُوا مَا أَنْضَجُوا بِهِ خُبْزَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَنْ يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُه)[٩٦].

ويُذكر في سبب تخصيص النداء بالتحذير من الصغائر دون الكبائر، ندرة وقوعها من الصدر الأول، مما يدلُّ على أنَّ اجتناب المعاصي -وإن كانت صغائر- راجع إلى ما يقوم بقلب العبد من الإيمان والخشية، يقول أنس ﷺ: (إنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أعْمالاً هِيَ أدَقُّ فِي

---

(٨٩) يُنظر: مرقاة المفاتيح، القاري (٨/ ٣٣٥٧).

(٩٠) يُنظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٢/ ٥٦٠)، والذي يظهر صواب المعنى الأوَّل؛ لأن هذا المعنى يردُّه أن الله تعالى وكَّل ملائكة لكتابة أعمال العباد جميعها، دلَّ على ذلك صريح قوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □.

(٩١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٥٥/٢٩).

(٩٢) شرح الرضي، الاستراباذي (١/ ٤٨٦).

(٩٣) يُنظر: أوضح المسالك، ابن هشام (٧٠/٤-٧١).

(٩٤) يُنظر: لمعات التنقيح، الدهلوي (٨/ ٥٥٥).

(٩٥) فتح الباري، ابن حجر (١١/ ٣٢٩).

(٩٦) إسناده صحيح، رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند الأنصار، حديث سهل بن سعد السَّاعدي (٤٦٦/٣٧)، برقم: ٢٢٨٠٨، قال عنه ابن حجر: إسناده حسن، فتح الباري (٣٣٧/١١)، وقال المنذري: رجاله مُحتجٌّ بهم في الصحيح، الترغيب والترهيب (٢٨٩/٣)، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين، الصحيحة، ص٣١٠٢.

أعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ إنْ كُنَّا نَعدُّها عَلى عَهْدِ النبيِّ ﷺ الموبِقاتِ)(٩٧)، فالصحابة ﷺ هم خير القرون ومن كمال إيمانهم وخشيتهم، وعظيم قدر الله في نفوسهم، كانوا يعدّون الصغائر من الموبقات(٩٨)، قال ابن بطَّال رحمه الله: "إنما كانوا يعدُّون الصغائر من الموبقات، لشدة خشيتهم لله وإن لم تكن لهم كبائر"(٩٩)، مما يُجلّي علاقة الإيمان بمجانبة الوقوع في المعاصي وإن كانت صغائر، ومضمون دلالة هذا النداء يؤيِّد ما عليه أهل السنة والجماعة من أنَّ الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

ثانيًا: دلَّ النداء النبوي في حديث أبي برزة ﷺ **(يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ)** على "أنَّ الدِّين والإيمان قولٌ وعملٌ، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأنَّ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"(١٠٠)، وعليه فإنَّ من اكتفى بالقول دون العمل فإيمانه باطل لأنَّ الاكتفاء بقول اللسان في الإيمان، لا يعدو كونه دعوى تحتاج إلى ما يصدِّقها من الأعمال الباطنة والظاهرة، وهذا هو ما يفترق به المؤمن الحق عن المنافق وغيره ممن يدَّعي الإيمان، فالذي عليه علماء السلف أنَّ مجرَّد القول لابدَّ له ما يُصدِّقه من العمل، وماعدا ذلك فلا يُعتدُّ به، فضلًا عن أن يكون توحيدًا أو إيمانًا يُثاب عليه صاحبه، وأقوال السلف متكاثرة في ذلك منها، "قول الوليد بن مسلِم: سمعتُ الأوزاعي، ومالكَ بن أنس، وسعيد بن عبد العزيز يذكرون قولَ مَن يقول: إنَّ الإيمان قولٌ بلا عمل، ويقولون: لا إيمانَ إلا بعمل، ولا عملَ إلا بإيمان"(١٠١)، وقال الأوزاعي رحمه الله: "لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقةٍ للسُّنة، وكان من مضى من سلفنا لا يُفرِّقون بين الإيمان والعمل، والعمل من الإيمان، والإيمان من العمل...فمن قال بلسانه، ولم يعرف بقلبه، ولم يصدِّقه بعمله، لم يُقبل منه وكان في الآخرة من الخاسرين"(١٠٢)، قال ابن تيمية رحمه الله معلقًا: "وهذا معروف عن غير واحدٍ من السلف والخلف؛ أنهم يجعلون العمل مصدِّقا للقول"(١٠٣).

فقد جاء النداء النبوي بإبطال إيمان من اكتفى بالقول، وهذا المعنى يتفق مع النداء الإلهي الذي قال الله فيه: يأأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في

---

(٩٧) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يُتّقى من محقرات الذنوب (١٠٣/٨)، برقم: ٦٤٩٢.

(٩٨) يُنظر: عمدة القاري، العيني (٨٠/٢٣).

(٩٩) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٢٠٢)، ويُنظر: التوضيح، ابن الملقِّن (٢٩/ ٥٤٧).

(١٠٠) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥١/٣).

(١٠١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي (٩٣٠/٤).

(١٠٢) الإبانة الكبرى، ابن بطة (٨٠٧/٢).

(١٠٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٩٦/٧).

الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم [المائدة: ٤١]، فقد ذكر الله تبارك وتعالى في هذه الآية أشهر صفةٍ اختصَّ بها المنافقون، وهي الاكتفاء في الإيمان بالقول دون غيره، مبينًا -سبحانه- أنَّ إيمان اللسان لا قيمة له، وأنَّ من اكتفى به فحالُه تشبه حال المنافقين في قربهم للكفر ومسارعتهم له، فمُجرَّد القول لا يُعدُّ إيمانًا، ولا ينفع صاحبه إن خلا من العمل وتصديق القلب بما ينطق به(١٠٤)،لأنَّ "حقيقةَ الدِّين هو الطاعة والانقياد، وذلك إنما يتمُّ بالفِعْل لا بالقول فقط، فمَن لم يفعلْ لله شيئًا، فما دان لله دِينًا، ومَن لا دِين له فهو كافِر"(١٠٥)

كما تضمَّن النداء الدلالة على أنَّ "أصل الإيمان قول القلب وعمَلُه"(١٠٦) إلا أنَّه لا يستقيم بدون غيره من الجوارح، ولا يعني ما ذُكر أنَّ الإيمان يكفي فيه مجرَّد التصديق والمعرفة، بل هو الإقرار المتضمِّن للعمل والانقياد(١٠٧)، لذا جاء نداء النبي ﷺ للتأكيد على عمل القلب المنتفي في حقِّ المنافقين الذين اكتفوا بالقول، والذي يعدُّ جزءًا لا يتجزَّأ من الإيمان.

وفي هذا النداء ردٌّ على طائفةٌ من المرجئة -تُدعى الكرَّامية- ذهبوا إلى أنَّ الإيمان مجرَّدُ القول، واستدلّوا على ذلك بالأدلة التي يظهر فيها الاكتفاء بنطق كلمة التوحيد في دخول الجنة، كقوله ﷺ: (مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، صَادِقًا بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)(١٠٨)، فجعلوا الإيمان مجرَّدُ الإقرار باللسان، وأنَّ من تلفَّظ بالشهادتين فهو مؤمن حقَّ الإيمان ولو أضمر الكفر والنفاق(١٠٩)، ولا شكَّ بأنَّ هذا القول مُنكر مبتدع باطل لم يسبقهم إليه أحد(١١٠)، وهو من أفسد الأقوال في معنى الإيمان(١١١).

---

(١٠٤) يُنظر: الشريعة، الآجرِّي (٢/ ٦١١)، ويُنظر: تفسير السعدي، ص٢٣١، التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، دار (٣/ ١٠٩٨).

(١٠٥) شرح العمدة، ابن تيمية، ص٨٦.

(١٠٦) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (٣/ ١٣٧)، ويُنظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ٦٤٤).

(١٠٧) يُنظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ٥٢٩) وَ (٧/ ٦٣٨).

(١٠٨) حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد في مسنده، أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث أبي موسى الأشعري (٤٥٦/٣٢)، برقم: ١٩٦٨٩، قال الهيثمي: رجاله ثقات، مجمع الزوائد (١٦/١)، وقال العيني: إسناده حسن، عمدة القاري (٢٠٤/٢).

(١٠٩) يُنظر: الفرق بين الفِرق، البغدادي، ص ٩ وَ ص٢١١، ويُنظر: الفصل، ابن حزم (٤/ ١٥٥).

(١١٠) يُنظر: بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية (٥/ ٣٥٩)، ويُنظر: الإيمان، ابن تيمية، ص١١٦.

(١١١) يُنظر: العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، ص١٩٧.

وإنَّ المراد من هذا الحديث وما يشبِهُه: أنَّ كلمة التوحيد سببٌ يقتضي دخول الجنة والنجاة من النار، لكن المقتضي لا يعملُ عملَه إلا باستجماع شروطه، وانتفاء موانعه، فمتى انتفت الشروط، أو وُجدت الموانع انتفى هذا الاقتضاء(١١٢)، فالتوحيد ليس "مجرَّدُ إقرار العبد بأنَّه لا خالق إلا الله، وأنَّ الله ربُّ كلِّ شيء ومليكه...بل التوحيد يتضمَّن من محبة الله، والخضوع له، والذلِّ له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال"(١١٣).

فدخول الجنة والنجاة من النار لم يجعله الشارع حاصلًا بمجرَّد قول اللسان، فالمنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار، فإنَّ كلَّ قولٍ رتَّب الشارع عليه ثوابًا إنما هو القول التام، كقوله ﷺ: (مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ)(١١٤)، فإنَّ هذا الثواب ليس مُرتَّبا على مجرَّد قول اللسان؛ فمن قالها بلسانه، غافلًا عن معناها، ولم يواطئ قلبه لسانه، ولا عرف قَدْرها وحقيقتها، راجيًا مع ذلك ثوابها، حُطَّت من خطاياه بحسب ما في قلبه، فإنَّ الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب(١١٥).

ثالثًا: دلَّ النداء النبوي في حديث أبي ذر ﷺ (**يَا أَبَا ذَرٍّ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ يُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ**...)، وحديث أبي هريرة ﷺ (**يا بِلَالُ، خَبِّرْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ مَنْفَعَةً فِي الْإِسْلَامِ**..) على أنَّ الأعمال الظاهرة يعظم قدرها ويصغر بما يقوم في القلوب، وما في القلوب يتفاضل(١١٦)، وهذا مدعاة للاجتهاد في العمل لأنَّ مقدار الإيمان في القلب وصِفَتُه لا يعلمها إلا الله تعالى، فيحرص العبد على الإتيان بموجبات الرحمة، وعزائم المغفرة بين الخوف والرجاء(١١٧)، يقول ابن تيمية رحمه الله: "الإيمان يتفاضل من وجهين: من جهة أمر الربِّ، ومن جهة فعل العبد، أما الأول: فإنَّه ليس الإيمان الذي أمر به شخص من المؤمنين، هو الإيمان الذي أمر به كل شخص، فإنَّ المسلمين في أوَّل الأمر كانوا مأمورين بمقدار من الإيمان، ثم بعد ذلك أُمِروا بغير ذلك...والنوع الثاني: هو تفاضل الناس في الإتيان به مع استوائهم في الواجب...فليس إيمان السارق والزاني والشارب كإيمان غيرهم، ولا إيمان من أدَّى

(١١٢) يُنظر: رسائل ابن رجب (٣/ ٤٧).
(١١٣) مدارج السالكين، ابن القيم (١/ ٣٣٩).
(١١٤) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح (٨٦/٨)، برقم: ٦٤٠٥.
(١١٥) يُنظر: مدارج السالكين، ابن القيم (١/ ٣٣٩-٣٤٠).
(١١٦) يُنظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (٦/ ٢٢١).
(١١٧) يُنظر: المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ٢٢٥).

الواجبات كإيمان من أخلَّ ببعضها، كما أنه ليس دين هذا وبِرُّه وتقواه مثل دين هذا وبِرِّه وتقواه، بل هذا أفضل دينًا وبرًّا وتقوى، فهو كذلك أفضل إيمانًا"(١١٨).

كما تضمنت النداءات الدلالة على علاقة ما يستقرُّ في قلب العبد من الإيمان والإخلاص على عمل الظاهر، وما يترتَّب على ذلك من عظيم الأجر والثواب، فإنَّ الأعمال الظاهرة لا تكون صالحة مقبولة إلا بتوسُّط عمل القلب(١١٩)، فقوله ﷺ :(يُرِيدُ بِهَا وَجْهَ الله) يؤكِّد أنَّ التوحيد والإيمان والإخلاص الذي يقوم في قلبِ العبد، هو الأصْل الذي يتفاضل الناس فيه، وبحسْب ما ينبني عليه من الأعمال الصالحة يكون الجزاء في الآخرة(١٢٠).

كما إنَّ إخبار النبي ﷺ لبلال أنَّه من أهل الجنة لم يكن سببه مجرَّد عمله، بل بما رافقه من إيمانٌ وإخلاص استقرَّ في قلبه، برجائه الثواب بالمداومة على ما علِمَ أنه أفضل العمل بعد الإيمان سرًّا لعلمه أنَّ عمل السرِّ أفضل من الجهر(١٢١)، فإنَّ إخلاص النية وصدقها، ورغبة التقرُّب إلى الله وطلب الإقبال عليه هي الاعتبارات تتفاضل التي الأعمال بسببها، وإنما يعظم الرجاء بالعمل إذا اجتمع فيه ذلك(١٢٢)، لأنَّ "عُمْدة الأعمال التي تترتب عليها صحتُها أو فسُادها هي النية والإخلاص...فمن لم تكن نيته صحيحة لم يصحُّ عَمَلُه الذي عَمِلَه، ولا أجرُه المترتِّب عليه"(١٢٣)، بل إنَّ الإخلاص هو الإيمان كما ذكر ذلك النبي ﷺ حين سُئل عن الإيمان، فقد رُوي عنه ﷺ أن رجلًا قال له: (يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، قَالَ: فَمَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: الْإِخْلَاصُ، قَالَ: فَمَا الْيَقِينُ؟ قَالَ: التَّصْدِيقُ)(١٢٤).

يقول ابن تيمية رحمه الله: "إخلاصُ الدِّين لله، هو الدِّين الذي لا يَقْبل الله سواه، فهو الذي بعثَ به الأولين والآخرين من الرُّسل، وأنزل به جميع الكتب، واتَّفق عليه أئمة أهل الإيمان، وهذا هو خلاصةُ الدعوة النبوية، وهو قطبُ

(١١٨) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٥١).
(١١٩) يُنظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١١/ ٣٨١)
(١٢٠) يُنظر: تيسير العزيز الحميد، محمد بن عبد الوهاب، ص١١٤، الكوثر الجاري، أحمد الشافعي (١١/ ٣٠٥).
(١٢١) يُنظر: فتح الباري، ابن حجر (٣/ ٣٤)، التوضيح، ابن الملقِّن (٩/١١٦).
(١٢٢) يُنظر: المنار المنيف، ابن القيم، ص٣٣، مدارج السالكين، ابن القيم (٢/٤٣)، النظر الفسيح، ابن عاشور، ص٢٦.
(١٢٣) ولاية الله والطريق إليها، الشوكاني، ص٤٣٩.
(١٢٤) إسناده صحيح، رواه البيهقي في شعب الإيمان (٩/١٧٤)، برقم: ٦٤٤٢، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد (١/١٦٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب، ص٣.

القرآن الذي تدور عليه رَحَاه"[١٢٥]، فالصِّدقُ والإخلاص هما تحقيق الإيمان والإسلام[١٢٦].

كما أنَّ فيها دلالة على عظم شأن الصلاة وصلتها بالإيمان، وما حصل معها من الثواب -حتى مع كونها نفلًا- فامتازت بأن سُميت إيمانًا لأنَّ الإيمان سببها، ولاشتمالها على معناه، فالإيمان يثبتُ بثبوتها، وينتفي بانتفائها[١٢٧]، يقول الإمام البيهقي رحمه الله: "وقد ذكر الله جلَّ جلالُه الإيمان والصَّلاة ولم يذكر معهما غيرهما، دلالةً بذلك على اختصاص الصَّلاة بالإيمان، فقال: فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ [القيامة: ٣١]، أي: فلا هو صدَّق رسول الله ﷺ فآمن به، ولا صلَّى، وقال: والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا [المرسلات: ٤٨-٥٠]، فوبَّخهم على ترْك الصلاة كما وبَّخهم على ترْك الإيمان"[١٢٨].

رابعًا: دلَّ النداء النبوي في حديث **(الْآنَ يَا عُمَرُ)** على أنَّ محبة الله ورسوله ﷺ عمل قلبي يسْتكمل صاحبه به إيمانه، بل هي من واجبات الإيمان التي لا يتم إيمان المرء إلا بها، يقول النبي ﷺ: (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)[١٢٩]، فإنَّ الإيمان إذا ذُكر انتفاؤه متعلقٌ بغايةٍ معيَّنة في النصوص الشرعية، دلَّ دلَّ ذلك على وجوب هذه الغاية وافتراضها، فمن تركها فقد أخلَّ بالإيمان الواجب وعرّض نفسه للوعيد[١٣٠]، والمراد أنَّ المرء لا يبلُغ حقيقة الإيمان وأعلى درجاته إلا بتقديم محبة النبي ﷺ وحقوقه على حقِّ الوالد والولد والناس أجمعين[١٣١]، بل إنَّ إيمان المرء لا يصحُّ إلا برفع قدر النبي ﷺ وإعلاء منزلته ﷺ على كلِّ أحد، ومن لم يعتقد ذلك، أو اعتقد سواه فليس بمؤمن[١٣٢].

فقد أوجب الله تعالى محبته بقوله: قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من

---

(١٢٥) التحفة العراقية، ابن تيمية، ص٥٩، ويُنظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٤٩).

(١٢٦) يُنظر: التحفة العراقية، ابن تيمية، ص٤٠، ويُنظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ١١).

(١٢٧) يُنظر: شعب الإيمان، البيهقي (٤/ ٢٨٨)، مطالع الأنوار، ابن قرقول (٦/ ٤٣)، زاد المسير، ابن الجوزي (١/ ١٢٠)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢/ ١٥٧)، المنهاج في شعب الإيمان، الحليمي (١/ ١١٧).

(١٢٨) شعب الإيمان، البيهقي (٤/ ٢٩٢).

(١٢٩) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب حبِّ الرسول ﷺ من الإيمان (١/١٢)، برقم: ١٥.

(١٣٠) يُنظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ٣٧).

(١٣١) يُنظر: شرح صحيح البخاري لابن بطَّال (٦/ ٩٦)، أعلام الحديث، الخطابي (٤/ ٢٢٨٢).

(١٣٢) يُنظر: إكمال المعلم، القاضي عياض (١/ ٢٨٠)، الإفصاح، ابن هبيرة (٥/ ١٦٢).

الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين [التوبة: ٢٤]، قال القاضي عياض رحمه الله: "فكفى بهذا حضًّا وتنبيهًا ودلالةً وحُجةً على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرَّع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحبُّ إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله تعالى: فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ثم فسَّقهم بتمام الآية، وأَعْلَمَهُم أنهم ممن ضلَّ ولم يهْدِهِ الله"(١٣٣)، لذا جاء النداء النبوي بعد جوابه الثاني لبيان أنَّه بلغ ما يجب في محبة الرسول ﷺ بجوابه هذا كما تقدَّم بيان ذلك.

خامسًا: دلَّ النداء في حديث عائشة رضي الله عنها **(يَا عَائِشَةُ، إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ طَالِبًا)** على أنَّ الإيمان يتأثر بصغار المعاصي وينقُص بها، يقول ابن تيمية رحمه الله: "فمذهب أهل السُّنة المتَّبِعُون للسلف الصالح، أنَّ الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية"(١٣٤)، وهو على اتفاق أنَّ الإيمان لا ينتفي بارتكاب المعاصي، لكنها تُنقص الإيمان وتضرُّه(١٣٥)، لهذا جاء النداء النبوي بالتحذير من الصغائر مبينًا أنَّ الاستهانة بها فسادٌ لقلب صاحبها وإيمانه، ومؤاخذةُ العبد بها من دواعي هلاكه، فقد قال النبي ﷺ: (وَإِنَّ مُحَقِّرَاتُ الذُّنُوبِ مَتى يُؤْخَذ بهَا صَاحبهَا تُهْلِكْهُ)(١٣٦)، فالتهاون بها طريقٌ لمقارفة الكبائر، وكثرة وقوع العبد فيها مدعاة لضعف الإيمان في قلب صاحبها، مما يدلُّ على أنَّ الإيمان يتأثر بالمعاصي وينقُص بسببها، فقد جاء الحثُّ بالبُعد عن صغائر الذنوب لأنَّ تكرار مقارفتها يستدعي التخلُّط في إيمان صاحبها(١٣٧)، "بمنزلة الشمس ينكسف طرف منها، فبقدر ما انكسف -ولو كرأس إبرة- ينقص من شعاعها وإشراقها على أهل الدنيا، وخلص النقصان إلى كل شيء في الأرض"(١٣٨)، فإذا كان هذا التحذير من صغائر الذنوب لما تُحدثه من نقصٍ في الإيمان، فكِبَارُها من باب أولى.

سادسًا: تضمَّن النداء النبوي في حديث عائشة رضي الله عنها الدلالة على أنَّ المعاصي تنقسم إلى: كبائر وصغائر، ويشهد لهذا التقسيم نصوص الكتاب والسُّنة، منها قوله تعالى: إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما [النساء: ٣١]، ومن دلائل القسم الثاني؛ هذا الحديث، وقوله تعالى: الذين يجتنبون كبائر الإثم

---

(١٣٣) الشفا، القاضي عياض (٢/ ١٨).
(١٣٤) الاستقامة، ابن تيمية (٢/ ١٨٦)، ويُنظر: العقيدة الواسطية، ابن تيمية، ص١١٣، مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٥١).
(١٣٥) يُنظر: أصول السنة، أحمد بن حنبل، ص٣٤، الإبانة، ابن بطة، ص٢٧، شرح السنة للبربهاري، ص٥٢، الإيمان لابن تيمية، ص١٧٧.
(١٣٦) تقدَّم تخريجه، ص ١٧.
(١٣٧) يُنظر: فيض القدير، المناوي (٣/ ١٢٧).
(١٣٨) فيض القدير، زين الدين المناوي (٣/ ١٢٧).

والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة [النجم: ٣٢]، وقوله ﷺ: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ)[١٣٩].

يقول ابن القيم رحمه الله: "وقد دلَّ القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم والأئمة، على أنَّ من الذنوب كبائر وصغائر"[١٤٠]، وقال النووي رحمه الله: "وذهب الجماهير من السلف، والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر، وهو مرويٌّ عن ابن عباس ﷺ، وقد تظاهر على ذلك دلائل من الكتاب والسنة، واستعمال سلف الأمة وخلفها"[١٤١]، فالسلف رحمهم الله متفقون على تقسيمها، لكنهم تفاوتوا في عدِّ الكبائر ومراتبها، باعتبارات مختلفة[١٤٢].

إلا أنَّ طائفة من الخوارج[١٤٣] ذهبت إلى أنَّه لا فرق بين الذنوب كبيرها وصغيرها، وأنَّ مرتكبها كافر مشرك بالله، وإذا مات عليها فهو خالدٌ مخلَّد في النار، واستحلُّوا بذلك دماء المسلمين وقاتلوهم[١٤٤].

وحُجَّتهم في ذلك؛ النصوص الشرعية التي جاءت بوصف الكفر أو نفي الإيمان لمن قارف المعصية، كقوله تعالى بعد آية الحج: فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله

---

(١٣٩) أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، (٤/١٠)، برقم: ٢٧٦٦.

(١٤٠) الجواب الكافي، ابن القيم، ص١٢٥.

(١٤١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٨٥).

(١٤٢) يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "واختلف الناس في الكبائر: هل لها عدد يحصرها؟ على قولين. ثم الذين قالوا بحصرها اختلفوا في عددها، فقال عبد الله بن مسعود: هي أربع، وقال عبد الله بن عمر: هي سبع، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: هي تسعة، وقال غيره: هي إحدى عشرة، وقال آخر: هي سبعون...والذين لم يحصروها بعدد، منهم من قال: كل ما نهى الله عنه في القرآن فهو كبيرة، وما نهى عنه الرسول ﷺ فهو صغيرة، وقالت طائفة: ما اقترن بالنهي عنه وعيد من لعن أو غضب أو عقوبة فهو كبيرة، وما لم يقترن به شيء من ذلك فهو صغيرة، وقيل: كل ما ترتب عليه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة، فهو كبيرة، وما لم يرتب عليه لا هذا ولا هذا، فهو صغيرة، وقيل: كل ما اتفقت الشرائع على تحريمه فهو من الكبائر، وما كان تحريمه في شريعة دون شريعة فهو صغيرة، وقيل: كل ما لعن الله أو رسوله فاعله فهو كبيرة، الجواب الكافي، ص١٢٦.

(١٤٣) وهم الأزارقة الذين زعموا أن كل مرتكب لذنب صَغِير أَوْ كَبِير كافر مُشْرك بِاللَّه، وبعضهم ادعى أنه منافق والمنافق شرّ من الكافر المظهر لكفره (يُنظر: الفرق بين الفرق، البغدادي ص٩٧)، وهم فرق شتى يجمعهم القول: بتكفير علي، وَعُثْمَان، والحكمين، وَأَصْحَاب الْجمل، وكل من رضى بتحكيم الْحكمَيْنِ، والتكفير بارتكاب الذُّنُوب، وَوُجُوب الْخُرُوج على الإِمَام الجائر، عدا فرقة النجدات والإباضية الذين قالوا: أن مرتكب الكبيرة كافر نعمة لا كافر دين. (يُنظر: الفرق بين الفِرق، البغدادي ص٥٥-٥٦)، وجميع أقوالهم باطلة مخالفة للنصوص الشرعية ومذهب السلف.

(١٤٤) يُنظر: الفرق بين الفِرق، البغدادي، ص٩٩.

كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا [آل عمران: ٩٧]، وقوله: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله [المائدة: ٤٤]، وقوله ﷺ: (سِبَابُ المسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)(١٤٥)، وقوله ﷺ: (لَا يَزْنِي الزَّانِيْ حِيْنَ يَزْنِيْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)(١٤٦)، مُتذرِّعين بإطلاق وصف الكفر، ونفي الإيمان في حقِّ من ارْتكب المعاصي، وقد بَسَط العلماء -رحمهم الله- القول في تفنيد شبهاتهم والردِّ عليها(١٤٧).

أما المعتزلة فيرون أنَّ المعاصي تنقسم إلى صغائر وكبائر، والكبائر عندهم على ضربين: منها ما هو كفر ومنها ما ليس كذلك(١٤٨)، وهم أوَّل من ابتدع القول بالمنزلة بين المنزلتين في حقِّ من ارتكب المعاصي(١٤٩)، وهم متفقون مع الخوارج في القول بخلود أصحاب الذنوب في النار في الآخرة، لكنهم لم يَجسُروا على قتالهم وتسميتهم كفره كما فعلت الخوارج(١٥٠).

ولا شكَّ بأنَّ هذا مخالفٌ لما عليه السلف الصالح من هذه الأمة؛ الذين ذهبوا إلى أنَّ مرتكب الكبيرة لا يكفر، ولا يخلد في النار -بشرط عدم استحلاها- لكنَّ إيمانه ينقص بقدر معصيته، فهو فاسق بمعصيته، مؤمن بما معه من إيمان، وفي الآخرة أمرُه إلى الله إن شاء عذَّبه، وإن شاء غفر له، يقول ابن بطَّة رحمه الله: "وقد أجمعت العلماء -لا خلافَ بينهم- أنَّه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بمعصية؛ نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء"(١٥١)، ويسمُّونه "مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يُسْلَب مطلق الاسم"(١٥٢)، والخلافُ

---

(١٤٥) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن (١٩/١)، برقم:٤٨، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب سباب المسلم فسوق وقتاله كفر (٥٧/١)، برقم: ٦٤.

(١٤٦) أخرجه البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردّة، باب إثم الزناة (١٦٤/٨)، برقم: ٦٨١٠، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان بالمعاصي (٥٤/١)، برقم: ٥٧.

(١٤٧) منهم ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٧٨-٤٧٩) و (٢٠٨/١٣)، وفي الفتاوى الكبرى (٥٠٤/٣)، ومنهاج السنة النبوية (٣٩٥/٤)، والإيمان، ص١٩٩، فكان من قوله رحمه الله: "أهل السنة متفقون على ذم الخوارج وتضليلهم"، مجموع فتاوى ابن تيمية (٥٤٠/٣).

(١٤٨) يُنظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري، ص٢١١.

(١٤٩) يُنظر: الفرق بين الفِرق، البغدادي، ص٩٤، الملل والنحل، الشهرستاني (٤٧/١).

(١٥٠) يُنظر: الفرق بين الفِرق، البغدادي، ص ٩٩.

(١٥١) الشرح والإبانة، ابن بطة، ص٢٩٢.

(١٥٢) العقيدة الواسطية، ابن تيمية، ص١١٤، وَ: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥٢/٣).

في اسم مقترفي الذنوب وحكمهم هو أول خلافٍ في أصول الدين(١٥٣)، فقد شهدت هذه المسألة نزاعًا بين أهل السنة وغيرهم ممن خالف في تقسيم الذنوب وحكم مرتكبها كما تقدَّم.

المطلب الثاني: ما جاء النداء فيه دالٌّ على فضل الإيمان

إنَّ تحقيق الإيمان كما أمر الله تعالى من أسباب نيل السعادة في الدنيا والآخرة، فمن بركة الإيمان على صاحبه أنَّ كلَّ مؤمنٍ لابُدَّ له من دخول الجنة، وأنَّ مثقال حبة خردلٍ من إيمان في قلب صاحبها تمنع خلوده في النار، كما دلَّت على ذلك النصوص الصريحة الصحيحة(١٥٤)، منها: قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه: (مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ)(١٥٥)، وقوله ﷺ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ)(١٥٦)، والمعنى لا يدخلها دخولًا يخلد فيها(١٥٧).

بل إنَّ من فضائله أن جُعل شرطًا لانتفاع المرء بثواب عمله في الآخرة، خلافًا لعمل الكفار الذي قال الله عنه: مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد [ابراهيم: ١٨]، ليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب [المائدة: ٥]، لأنَّ أعمالهم صدرت عن غير إيمان فلا ثواب لهم بها(١٥٨)، فيوم القيامة لا يقدرون على ثواب شيء مما عملوه من البرِّ في الدنيا لخلوِّه من الإيمان، وحبوطه بالكفر الذي ينتفي معه الإيمان الذي لا يقبل العمل إلا به(١٥٩).

وقد جاءت النِّداءات النبوية شاهدة بفضل الإيمان على صاحبه من وجوه متعدِّدة، فعن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "(كَلَّا،

---

(١٥٣) يُنظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤٧٩/٧)، ويُنظر: العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، ص١٩٠، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية (٤٣٢/٣).

(١٥٤) يُنظر: الرد على الشاذلي، ابن تيمية، ص٨٢.

(١٥٥) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، (١١٥/٨)، برقم: ٦٥٦٠.

(١٥٦) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (٦٥/١)، برقم: ٩١.

(١٥٧) يُنظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٨٩)، العبودية، ابن تيمية، ص٩٩.

(١٥٨) يُنظر: بحر العلوم، السمرقندي (٢٣٩/٢)، تفسير ابن القيم، ص٣٣٩.

(١٥٩) يُنظر: النكت والعيون، الماوردي (١٢٨/٣)، زاد المسير، ابن الجوزي (٢/ ٥٠٩)، المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ١٢٦).

إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ فِي عَبَاءَةٍ غَلَّهَا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ)**[١٦٠].

وعن السَّائِبِ بْنِ أَبِي السَّائِبِ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يُشَارِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الْإِسْلَامِ فِي التِّجَارَةِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ جَاءَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَرْحَبًا بِأَخِي، وَشَرِيكِي كَانَ لَا يُدَارِي، وَلَا يُمَارِي، **يَا سَائِبُ قَدْ كُنْتَ تَعْمَلُ أَعْمَالًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، لَا تُقْبَلُ مِنْكَ، وَهِيَ الْيَوْمَ تُقْبَلُ مِنْكَ**)، وَكَانَ ذَا سَلَفٍ وَصِلَةٍ[١٦١].

ورُوي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ مَعْبَدٍ حَائِطًا، فَقَالَ: **(يَا أُمَّ مَعْبَدٍ، مَنْ غَرَسَ هَذَا النَّخْلَ؟ أَمُسْلِمٌ أَمْ كَافِرٌ؟)** فَقَالَتْ: بَلْ مُسْلِمٌ، قَالَ: (فَلَا يَغْرِسُ الْمُسْلِمُ غَرْسًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ، وَلَا دَابَّةٌ، وَلَا طَيْرٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)[١٦٢].

المسائل العقدية المتعلّقة بأسلوب النداء

أولًا: دلَّ النداء النبوي في حديث أم معبد **(يَا أُمَّ مَعْبَدٍ، مَنْ غَرَسَ هَذَا النَّخْلَ؟ أَمُسْلِمٌ أَمْ كَافِرٌ؟)**، وحديث السائب **(يَا سَائِبُ قَدْ كُنْتَ تَعْمَلُ أَعْمَالًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، لَا تُقْبَلُ مِنْكَ، وَهِيَ الْيَوْمَ تُقْبَلُ مِنْكَ)**، على أنَّ الطّاعات وأعمال البرِّ -التي ليست من قبيل العبادة- لا تنفعُ صاحبها إلا مع الإيمان، ويحصلُ ثواب المؤمن فيها حتى مع عَدِم استحضار النية، يقول ابن رجب رحمه الله: "وظاهر هذه الأحاديث كلِّها، يدلُّ على أنَّ هذه الأشياء تكونُ صدقة يُثاب عليها الزارعُ والغارسُ ونحوهما من غير قصدٍ ولا نية"[١٦٣]، وقال العيني رحمه الله: "حُصُول الْأجر للغارس والزارع، وَإِن لم يقصدا ذَلِك، حَتَّى لَو غرس وَبَاعه أَو زرع وَبَاعه كَانَ لَهُ بذلك صَدَقَة لتوسعته على النَّاس فِي أقواتهم"[١٦٤]، كما دلَّ على ذلك قول النبي ﷺ: (المؤمنَ يُؤجَرُ في كلِّ شيءٍ حتَّى في اللُّقمة يرفعها إلى فِيه)[١٦٥] ، أما الكافر فلا يُثاب على شيءٍ من ذلك، لانعدام الإيمان الذي هو شرط قبولها[١٦٦]، قال القسطلاني رحمه الله: "والتعبير بالمسلم يُخرج الكافر، فيختصُّ الثواب في الآخرة

(١٦٠) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الغلول (٧٥/١)، برقم: ١١٤.
(١٦١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند المكيين، حديث السائب بن عبد الله (٢٦٣/٢٤)، برقم: ١٥٥٠٥، صحَّحه الحاكم بهذا الإسناد، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي المستدرك (٦٩/٢). وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد (٩٤/١).
(١٦٢) أخرجه مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع (٢٨/٥)، برقم: ١٥٥٢.
(١٦٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب (٢/ ٦٩٥).
(١٦٤) عمدة القاري، بدر الدين العيني (١٢/ ١٥٥).
(١٦٥) إسناده حسن، أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند سعد ين أبي وقَّاص (١٤٢/٣)، برقم: ١٥٧٥، قال الهيثمي: وأسانيد أحمد رجالها رجال الصحيح، منبع الفوائد (٩٥/١٠)، وصححه السيوطي في الجامع الصغير، ص٥٣٧٢، والألباني في صحيح الجامع ٣٩٨٦.
(١٦٦) يُنظر: الكوكب الوهّاج، محمد الشافعي (١٣٣/٥).

بالمسلم دون الكافر، لأن القُرَب إنما تصح من المسلم، فإن تصدَّق الكافر أو فعل شيئًا من وجوه البرِّ لم يكن له أجرٌ في الآخرة"(١٦٧)، لذا جاء النداء النبوي بسؤال أم معبد عمَّن غرس الغرْس لترتُّب الجواب عليه.

وفي حديث السائب ﷺ، جاء النداء النبوي ليؤكِّد أنَّ العمل لا يُقبل ولا يُثاب عليه فاعله إلا بعد الإيمان، دلَّ عليه صريح قوله ﷺ للسائب بعد إسلامه: (وَهِيَ الآن تُقبلُ مِنْكَ).

"والأصل أنَّ الكافر لا يجزى في الآخرة على خيرِ عَمِلَه في الدنيا، ولا يُكتب له حسنة؛ لأنَّ شرط الثواب والجزاء عُدِمَ وهو الإيمان"(١٦٨) -هذا إذا كان حيًا- أما بعد مماته فقد نقل القاضي عياض رحمه الله الإجماع على أنَّ الكفار إذا ماتوا على كفرهم، لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب(١٦٩)، ونقل النووي رحمه الله الإجماع على ذلك أيضًا، بقوله: "أجمعَ العلماءُ على أنَّ الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة، ولا يجازى فيها بشيءٍ من عمَلِه في الدنيا متقرِّبًا إلى الله تعالى، وصرَّح في هذا الحديث(١٧٠)بأن يُطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات، أي: بما فعله متقربًا به إلى الله تعالى مما لا يفتقر في صحَّته إلى النية، كصلة الرحم والصدقة والعتق والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها"(١٧١).

ثالثًا: دلَّ النداء في حديث السائب ﷺ على أنَّ الكافر يُثاب على أعماله بعد إسلامه، وقد اختلف العلماء في ذلك على أقوال(١٧٢):

---

(١٦٧) إرشاد السَّاري، القسطلاني (٤/ ١٧٠)، ويُنظر: عمدة القاري، العيني (١٢/ ١٥٥)، إكمال المعلم، القاضي عياض (٥/ ٢١٤)، شرح النووي على صحيح مسلم (٢١٣/١٠)..

(١٦٨) إكمال المعلم، للقاضي عياض (٣٤١/٨).

(١٦٩) إكمال المعلم، القاضي عياض (٥٩٧/١).

(١٧٠) ذكر هذا في معرض شرحه لحديث النبي ﷺ الذي رواه أنس ﷺ: (إنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا..) والحديث أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة (١٣٥/٥)، برقم: ٢٨٠٨.

(١٧١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ١٥٠). وقد ردَّ الإجماع شهاب الدين الألوسي قائلًا: "ودعوى الإجماع على إحباطها بالكلية غير تامة، كيف وهم مخاطبون بالتكاليف في المعاملات والجنايات اتفاقًا، والخلاف إنما هو في خطابهم في غيرها من الفروع... وإلى هذا ذهب العلامة شهاب الدين الخفاجي"، مُشيرًا إلى أن المسألة خلافية. ذكره في كتابه روح المعاني (٤٣٨/١٥).

(١٧٢) يُنظر: فتح الباري، ابن حجر (١/ ٩٩)، شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ١٤٠-١٤١).

القول الأول: إنَّ الكافر لا يُثاب على شيءٍ من عَملِه قبل إسلامه، وحجَّتهم أنَّ الكافر لا يصحُّ منه التقرُّب، لأنَّه حين عمل هذه الأعمال لم يكن عالـمًا بالله تعالى، وعليه فإنه لا يُثاب على شيءٍ منها، وقالوا إنَّ المراد بقول النبي ﷺ لحكيم بن حزام حين أسلم: (أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ)[١٧٣]، يُراد به واحد من هذه المعاني: أنك اكتسبت طباعًا جميلة، وستنتفع بتلك الطِّباع في الإسلام، أو: أنَّ هذه الطبّاع مدعاة لازدياد حسناتك بعد الإسلام، أو: أنك اكتسبتَ ثناءً حسنًا حتى بعد الإسلام، وقيل: إنَّ الله تعالى هداك للإسلام ببركة الخيرات التي كُنتَ تفعلها[١٧٤].

القول الثاني: إنَّ الكافر إذا أَسْلم وحسُن إسلامه أُثيب على ما كان يعمل من الخير، وأجابوا على تعليل الفريق الأول: بأنَّ الكافر لا يُعتدُّ بالخير الذي فعله قبل إسلامه في أحكام الدنيا، لكن ثواب الآخرة على عمله إذا أسلم، هو فضلُ الله تعالى وليس لأحد أن يمنعه[١٧٥].

والراجح والذي عليه أكثر أهل العلم: أنَّ الكافر إذا أسلم وحَسُنَ إسلامه، أُثيب على ما كان يعمل من الصالحات وأعمال البرِّ قبل إسلامه، لأنَّ قبول العمل مُعلَّقٌ عليه-أي الإسلام- فإن أسلم أُثيب وتُقبِّل منه، وإلا فلا، وإلى هذا ذهب النووي وإبراهيم الحربي وابن بطال وغيرهم من القدماء، والقرطبي وابن المنيِّر من المتأخرين رحمهم الله جميعًا[١٧٦]، يقول ابن رجب رحمه الله: "الكافر إذا عمل حسنةً في حالِ كفره ثم أسلم، فإنه يثاب عليها، ويكون إسلامُه المتأخر كافيًا له في حصول الثواب على حسناته السابقة منه قبل إسلامه، ورجَّح هذا القول ابن بطَّال والقرطبي وغيرهما"[١٧٧].

ويؤيِّد ذلك ظاهر حديث سائب المذكور، وحديث حكيم عندما أسلم[١٧٨]، وما قاله ﷺ عن عبد الله بن جدعان -وكان من سادات قريش ويُكثر من عمل الخير- حينما قالت عائشة رضي الله عنها أنه كانَ في الجاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، ويُطْعِمُ المِسْكِينَ، فَهلْ ذاكَ نافِعُهُ؟ قالَ ﷺ: (لا يَنْفَعُهُ، إنَّه لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتي يَومَ الدِّينِ)[١٧٩]، يقول ابن رجب

---

(١٧٣) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب من تصدق في الشرك ثم أسلم (١١٤/٢)، برقم: ١٤٣٦.

(١٧٤) يُنظر: المعلم، المازري (١/ ٣٠٨-٣٠٩)، الكواكب الدراري، الكرماني (١/ ١٦٧)، عمدة القاري، العيني (٨/ ٣٠٣).

(١٧٥) يُنظر: فتح الباري، ابن رجب (١/ ١٥٩)، فتح الباري، ابن حجر (١/ ١٠٠)، إرشاد السَّاري، القسطلاني (٤/ ١٧٠)، التنوير شرح الجامع الصحيح، الصنعاني (٢/ ٣٦٤).

(١٧٦) يُنظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٩٩-١٠٠).

(١٧٧) فتح الباري، ابن رجب (١/ ١٥٩).

(١٧٨) يُنظر: عمدة القاري، العيني (٨/ ٣٠٣).

(١٧٩) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدَّليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل (١٣٦/١)، برقم: ٢١٤.

رحمه الله: "وهذا يدلُّ على أنه لو قال ذلك يوما من الدَّهر - ولو قبل موته بلحظة- لنفعهُ ذلك"(١٨٠)، فسبب عدم القبول هو عدم الإيمان، والذي جاء التعبير عنه هنا ببعض ما يدلُّ عليه(١٨١)، والمعنى أنَّ ما كان يفعله الكافر من الصِّلة والإطعام ووجوه المكارم، لا ينفعه في الآخرة لكفره(١٨٢).

وخلاصة القول: إنَّ ثواب العمل لا ينتفع به إلا المؤمن، ومن بركة الإيمان على صاحبه أنه يُثاب على بعض الخيرات ولو لم يستحضر نيته فيها، ومن عظيم بركته أنه يحفظ للكافر ثواب عمله بعد دخوله فيه على الصحيح من أقوال أهل العلم.

ثالثًا: تضمَّن النداء فضيلةُ الغَرْس، وانتفاع المرء بثوابه حتى بعد مماته، وقد جاءت شواهد للنداء في حديث أم معبد تؤيِّد ذلك، كحديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ)(١٨٣)، و "مقصود الحديث: الحثُّ على الغرس وإن ظهرت الأشراط، لما يترتب عليه من إجراء الثواب بعد موت الغارس"(١٨٤).

الخاتمة

١. لقد شغل أسلوب النداء مساحة كبيرة في الخطاب النبوي، وكثيرًا ما يتصدَّر الخطاب الذي يعقبه توجيه -عقدي أو غيره- مما يدلُّ على عناية النبي ﷺ باستمالة قلوب الناس والتأثير فيهم لأنَّه مأمور بالبلاغ، وإرشاد الناس إلى ما يُصلح دينهم ودنياهم، فقد تضمنت النداءات النبوية ترغيبًا وترهيبًا، وتبشيرًا وإنذارًا، وتعليمًا وبيانًا وإرشادًا، وهذا السمات تُلائم خطاب المبعوث رحمة للعالمين ﷺ.

٢. كما ظهرت العناية النبوية جليَّة بتقرير الإيمان ومسائله، من خلال تنوُّع المسائل التي جاء النداء النبوي دالٌّ عليها، حيث جاء النداء أسلوب النداء في معظم ما يتعلق به من المسائل، فقد دلَّ النداء النبوي على ثقة ارتباط الإيمان بالعمل، وأنه يزيد وينقص، وأنه قول وعمل واعتقاد، ومنه استقى أهل السنة والجماعة المعنى الشرعي له.

٣. أهمية أسلوب النداء وأثره في تقرير الإيمان -بل في تقرير مسائل العقيدة كافة- والمتتبِّع لبقية الموضوعات العقدية في السنة النبوية سيجد عددًا ليس بالقليل صُدِّر بالنداء، بل ولا أدلَّ على أهميته من كونه أولى الأساليب التي استفتح به النبي ﷺ دعوته الجهرية في الدعوة إلى التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة.

---

(١٨٠) فتح الباري، ابن رجب (١/١٥٩)، ويُنظر: فتح الباري، ابن حجر (١/ ١٠٠).

(١٨١) يُنظر: المُفهم، القرطبي (١/ ٤٥٩).

(١٨٢) يُنظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ٨٦).

(١٨٣) إسناده صحيح، أخرجه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك ﷺ (٢٠/٢٩٦)، برقم: ١٢٩٨١، قال الهيثمي: رجاله أثبات ثقات، مجمع الزوائد (٤/٦٣)، وصححه الألباني في الأدب المفرد، ص٣٧١.

(١٨٤) السراج المنير، العريزي (٢/١٧٩).

٤.تتصدر (يا) أسلوب النداء إذا كان غرض النداء عظيمًا، وأحيانًا للتأكيد على العناية بالمراد، وأحيانًا للتصغير والإبعاد، ودلالتها تُفهم من السياق.

٥.يُصدَّر نداء الأعلام في الخطاب النبوي بـ (يا) مع قربهم من النبي ﷺ، لِـــما يوحيه نداء القريب بأسلوب البعد من تأكيد واختصاص، وإشارة لعظم الأمر المنادى لأجله، ومعلوم أنَّ النبي ﷺ مبعوث بالتوحيد، والدعوة إلى الإيمان بالله تعالى، ولا شيء يوازي عظمة التوحيد وبيان حقيقة الإيمان التي به تكون السعادة والنجاة.

قائمة المصادر والمراجع

١. الإبانة الكبرى، ابن بَطَّة العكبري، ت: رضا معطي، وآخرون، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
٢. الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، ت: أحمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٣. إرشاد السَّاري لشرح صحيح البخاري، أحمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ
٤. الاستذكار، ابن عبد البر، ت: سالم محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م/ ١٤١٢هـ
٥. الاستقامة، ابن تيمية، ت: د. محمد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة النبوية، ط١، ١٤٠٣هـ
٦. أسرار العربية، كمال الدين الأنباري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٩٩٩م/ ١٤٢٠ه.
٧. أصول السنة، أحمد بن حنبل، دار المنار، الخرج، السعودية، ط١، ١٤١١هـ.
٨. الأصول في النحو، ابن السراج، ت: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
٩. أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، ت: د. محمد بن سعد آل سعود، جامعة أم القرى، ط١، ١٩٨٨م/ ١٤٠٩هـ.
١٠. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، ت: محمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩١م/ ١٤١١هـ.
١١. الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، ت: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ
١٢. إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، ت: د. يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء، مصر، ط١، ١٩٩٨م/١٤١٩هـ.
١٣. الأم، الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠م/ ١٤١٠هـ.
١٤. الأمالي، أو شذور الأمالي، أو النوادر، أبو علي القالي، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٢٦م/١٣٤٤هـ.
١٥. أمراض القلب وشفاؤها، ابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ.
١٦. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام، ت: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر.
١٧. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، ت: محمد خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣.
١٨. الإيمان، ابن تيمية، ت: محمد الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط٥، ١٩٩٦م/ ١٤١٦ه.

١٩. بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، أبو الليث السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).
٢٠. البديع في علم العربية، ابن الأثير، ت: د. فتحي أحمد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠ه.
٢١. بستان العارفين، النووي، دار الريان للتراث.
٢٢. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، ت: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦ه.
٢٣. التبصرة والتذكرة في علوم الحديث، أبو الفضل العراقي، تقديم: د. عبد الكريم الخضير، ت: العربي الفرياطي، ط٢، ١٤٢٨ه.
٢٤. التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٢٥. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، القاضي ناصر الدين البيضاوي، ت: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ٢٠١٢م/ ١٤٣٣ه.
٢٦. التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢، ١٣٩٩ه.
٢٧. التفسير البسيط، أبو الحسن الواحدي، ت: جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٣٠هـ.
٢٨. تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، ابن القيم، ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤١٠ه.
٢٩. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.
٣٠. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، ت: مصطفى العلوي، محمد البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧ه.
٣١. التنوير شرح الجامع الصغير، عز الدين الأمير، ت: د. محمَّد إسحاق، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ٢٠١١م/ ١٤٣٢ه.
٣٢. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، علي المرادي، ت: عبد الرحمن علي، دار الفكر العربي، ط١، ٢٠٠٨م/ ١٤٢٨ه.
٣٣. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن، ت: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٨م/ ١٤٢٩ه.
٣٤. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حقُّ الله على العبيد، سليمان بن عبد الوهاب، ت: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م/ ١٤٢٣ه.
٣٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، عبد الرحمن السعدي، ت: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م/ ١٤٢٠هـ.

٣٦. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ابن رجب، ت: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ٢٠٠١م/ ١٤٢٢ه.
٣٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر الطبري، ت: د. عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، ط١، ٢٠٠١م/ ١٤٢٢ه.
٣٨. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، شمس الدين القرطبي، ت: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م/ ١٣٨٤.
٣٩. الجامع لعلوم الإمام أحمد (العقيدة)، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، جمع: خالد الرباط، سيد عزت عيد، محمد أحمد عبد التواب بمشاركة الباحثين بدار الفلاح، الفيوم، مصر، ط١، ٢٠٠٩م/ ١٤٣٠ه.
٤٠. جماع العلم، الشافعي، دار الأثار، ط١، ٢٠٠٢م/ ١٤٢٣هـ.
٤١. جمهرة اللغة، أبو بكر الأزدي، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
٤٢. الجنى الداني في حروف المعاني، بدر الدين المرادي، ت: د. فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م/ ١٤١٣ه.
٤٣. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم، دار المعرفة، المغرب، ط١، ١٩٩٧م/ ١٤١٨ه.
٤٤. حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه)، نور الدين السندي، دار الجيل، بيروت.
٤٥. حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، ومعه حاشية ابن التمجيد، عصام الدين القونوي، ت: عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ٢٠٠١م/ ١٤٢٢هـ.
٤٦. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، قوام السنة الأصبهاني، ت: محمد المدخلي، دار الراية، السعودية، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م/ ١٤١٩ه.
٤٧. حجية السنة، عبد الغني عبد الخالق، دار الوفاء، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٨٧م/ ١٤٠٧هـ.
٤٨. درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٩٩١م/ ١٤١١هـ.
٤٩. ذم الكلام وأهله، أبو إسماعيل الهروي، ت: عبد الرحمن الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٩٩٨م/ ١٤١٨ه.
٥٠. الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق، ابن تيمية، ت: علي العمران، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٢٩ه.
٥١. الرسالة، الشافعي، ت: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، ط١، ١٩٤٠م/ ١٣٥٨ه.

٥٢.رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد عبد النور المالقي، ت: أ.د. أحمد الخراط، دار القلم، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ.
٥٣.رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ابن تيمية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣م/ ١٤٠٣ه.
٥٤.روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، ابن رجب، جمع: طارق بن عوض الله، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠١م/ ١٤٢٢هـ.
٥٥.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ت: علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ه.
٥٦.زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ت: عبد الرزاق، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢ه.
٥٧.سر صناعة الإعراب، ابن جني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م/ ١٤٢١ه.
٥٨.السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير، الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ نور الدين بن محمد بن الشيخ إبراهيم الشهير بالعزيزي.
٥٩.شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ت: أحمد الغامدي، دار طيبة، السعودية، ط٨، ٢٠٠٣م/ ١٤٢٣ه.
٦٠.شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م/ ١٤١٩ه.
٦١.شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، زين الدين الوقّاد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م/ ١٤٢١ه.
٦٢. شرح التصريف، أبو القاسم الثمانيني، ت: إبراهيم البعيمي، مكتبة الرشد، ط١، ١٩٩٩م/ ١٤١٩ه.
٦٣. شرح السنة، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري.
٦٤. شرح السنة، البغوي، ت: شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢، ١٩٨٣م/ ١٤٠٣ه.
٦٥. شرح العمدة (من أول كتاب الصلاة إلى آخر باب آداب المشي إلى الصلاة)، ابن تيمية، ت: خالد المشيقح، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٩٧م/ ١٤١٨ه.
٦٦. شرح الكافية الشافية، جمال الدين الجياني، ت: عبد المنعم أحمد، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ١٩٨٢م/ ١٤٠٢ه.
٦٧. شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م/ ١٤٢٢ه.
٦٨. شرح تسهيل الفوائد، جمال الدين الجياني، ت: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد المختون، هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٠م/ ١٤١٠ه.

٦٩. شرح سنن ابن ماجة المسمى (مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه والقول المكتفى على سنن المصطفى)، محمد الأُرمي، دار المنهاج، السعودية، جدة، ط١، ٢٠١٨م/ ١٤٣٩هـ
٧٠. شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب، الإستراباذي، ت: محمد نور الحسن، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م/ ١٣٩٥م.
٧١. شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ت: ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط٢، ٢٠٠٣م/ ١٤٢٣ه.
٧٢. الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، ابن بطة العكبري، ت: د. رضا نعسان معطي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، ط٢، ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ.
٧٣. شرف أصحاب الحديث، الخطيب البغدادي، د. محمد سعيد، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة.
٧٤. الشريعة، أبو بكر الآجُرِّيُّ، عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط٢، ١٩٩٩م/ ١٤٢٠ه.
٧٥. شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، ت: عبد العلي حامد، مكتبة الرشد بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ٢٠٠٣م/ ١٤٢٣ه.
٧٦. الشفا بتعريف حقوق المصطفى القاضي عياض، دار الفكر، ١٩٨٨م/١٤٠٩هـ.
٧٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الفارابي، ت: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م/ ١٤٠٧ه.
٧٨. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم الإعجاز، يحيى الطالبي، المكتبة العنصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ
٧٩. طرح التثريب في شرح التقريب أبو الفضل العراقي، الطبعة المصرية القديمة، وصوَّرتها دور عدة منها: دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي.
٨٠. العبودية، ابن تيمية، ت: محمد زهير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٧، ٢٠٠٥م/ ١٤٢٦ه.
٨١. العربي الفرياطي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٨ه.
٨٢. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، ت: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م/ ١٤٢٣ه.
٨٣. العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، محمد الأحمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٥ه.
٨٤. العقيدة الواسطية ابن تيمية، ت: ابن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م/ ١٤٢٠ه.
٨٥. علل النحو، ابن الورَّاق، ت: محمود الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٩٩٩م/١٤٢٠ه
٨٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٨٧. عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد بن العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ
٨٨. العين، الخليل الفراهيدي، ت: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٨٩. الفتاوى الكبرى ابن تيمية، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٧م/ ١٤٠٨ه.
٩٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ه.
٩١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ت: محمود بن شعبان، مجدي بن عبد الخالق، وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط١، ١٩٩٦م/ ١٤١٧ه.
٩٢. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر البغدادي، دار الآفاق، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.
٩٣. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٩٤. الفوائد، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٧٣م/١٣٧٣ه.
٩٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦ه.
٩٦. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٨، ٢٠٠٥م/ ١٤٢٦ه.
٩٧. الكافية في علم النحو، ابن الحاجب، ت: د. صالح الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
٩٨. الكتاب، سيبويه، ت: عبد السلام محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م/ ١٤٠٨ه.
٩٩. الكناش في فنَّي النحو والصرف، عماد الدين إسماعيل، ت: د. رياض الخوام، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.
١٠٠. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، شمس الدين الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٣٧م/ ١٣٥٦ه.
١٠١. الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، أحمد الكوراني، ت: أحمد عزو، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م/ ١٤٢٩ه.
١٠٢. الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، محمد الشافعي، دار المنهاج، مكة، ط١، ٢٠٠٩م/ ١٤٣٠ه.
١٠٣. اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين البِرْماوي، ت: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط١، ٢٠١٢م/ ١٤٣٣ه.
١٠٤. اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء البغدادي، ت: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٥م/ ١٤١٦ه.
١٠٥. اللمحة في شرح الملحة، ابن الصائغ، ت: إبراهيم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٤م/ ١٤٢٤ه.
١٠٦. لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، عبد الحق الدِّهلوي الحنفي، ت: تقي الدين الندوي، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٤م/ ١٤٣٥ه.
١٠٧. مجازات النداء وحقيقته واغراضهما في الخطاب القرآني، أ.د. ظافر بن غرمان العمري، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد السادس، ١٤٢٩هـ.
١٠٨. مجموع فتاوى ابن تيمية، ت: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٥م/ ١٤١٦ه.

١٠٩. مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، ت: أبو مصعب الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط٢، ٢٠٠٣م/ ١٤٢٤ه (جـ ١، جـ٢)، ط١ ٢٠٠٤م/ ١٤٢٥هـ (جـ٣، جـ٤).
١١٠. مختار الصحاح، زين الدين الرازي، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، ط٥، ١٩٩٩م/١٤٢٠هـ.
١١١. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، ت: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م/١٤١٦ه.
١١٢. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري، دار الفكر، لبنان، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م/١٤٢٢هـ
١١٣. مسائل الإيمان، القاضي أبو يعلى، ت: د. سعود الخلف، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٠هـ.
١١٤. المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جمع وترتيب: محمد بن قاسم، ط١، ١٤١٨ه.
١١٥. مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ابن قرقول، ت: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ٢٠١٢م/ ١٤٣٣ه.
١١٦. المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني، ت: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ٢٠٢١م
١١٧. معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م/ ١٤٢٠ه.
١١٨. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة.
١١٩. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام محمد، دار الفكر، ١٩٧٩م/ ١٣٩٩ه.
١٢٠. معرفة أنواع علوم الحديث المعروف (بمقدمة ابن الصلاح)، ابن الصلاح، ت: نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، ١٩٨٦م/ ١٤٠٦ه.
١٢١. المُعْلم بفوائد مسلم، أبو عبد الله المازري، ت: محمد الشاذلي، الدار التونسية، ط٢، ١٩٨٨م.
١٢٢. المغرب في ترتيب المعرب، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِيّ، دار الكتاب العربي.
١٢٣. المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين المظهري، ت: لجنة محققين بإشراف نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، وزارة الأوقاف الكويتية، ط١، ٢٠١٢م/ ١٤٣٣ه.
١٢٤. المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم الزمخشري، ت: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
١٢٥. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، ت: محيي الدين ديب وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٩٩٦م/ ١٤١٧ه.
١٢٦. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، ت: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٥م/ ١٤٢٦ه.
١٢٧. المقتضب، أبو العباس المبرد، ت: محمد عبد الخالق، عالم الكتب، بيروت.
١٢٨. المقدمة الجزولية في النحو، عيسى الجزولي، ت: د. شعبان عبد الوهاب، مطبعة أم القرى.
١٢٩. الملل والنحل، الشهرستاني، مؤسسة الحلبي.

١٣٠. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ابن القيم، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٩٧٠م/ ١٣٩٠ه.
١٣١. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، ت: محمد رشاد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٩٨٦م/ ١٤٠٦ه.
١٣٢. المنهاج شرح صحيح مسلم، محيي الدين النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢ه.
١٣٣. المنهاج في شعب الإيمان، أبو عبد الله الحَلِيمي، ت: حلمي فودة، دار الفكر، ط١، ١٩٧٩م/ ١٣٩٩ه.
١٣٤. النحو الشافي، محمود حسني مغالسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٧م
١٣٥. النداء بالعلمية في الخطاب النبوي دراسة تحليلية بلاغية، هشام عصام شوقي عفيفي، د. محمد عبد العزيز نصيف، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ١٤٣٩هـ.
١٣٦. النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨ه.
١٣٧. النكت والعيون (تفسير الماوردي)، الماوردي، ت: ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٣٨. همع الهوامع، جلال الدين السيوطي، ت: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.
١٣٩. ولاية الله والطريق إليها، محمد الشوكاني، ت: إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة، مصر، القاهرة.